جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

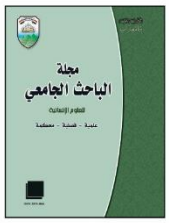

وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر بين الأصالة والمعاصرة والثابت والمتغير في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

محمد يحيى صالح محمد زياد
قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

الكلمات المفتاحية:
مفهوم وسائل التعامل زمن العسر، الأصالة والمعاصرة، المتغير والثابت، موجبات التغيير،

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم في مرحلة العسر في القرآن الكريم، والكشف عن مفاهيم (المقصود بالأصالة والمعاصرة والمتغير والثابت). وبيان موجبات تغيير وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم، وقد قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث. وقد استخدم البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي. وخلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها: أن مفهوم وسائل العسر في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر تعني ما استخدمه الأنبياء من الطرق الثابتة ومتغيره التي تخضع في التغيير بناء على مراعاة الأحوال والأزمان والأشخاص والأماكن وذلك لتعاملهم مع أقوامهم في مرحلة العسر في القرآن الكريم، وأن ذلك من باب الصفات والعلل التي تقبل التعدية إلى الغير، والتطبيق للمِثْلِ حالًا وزمانًا وأشخاصًا ومكانًا. وأن تناسب وسائل الدعوة مع العصر معالجة لواقعه، وتلبية لمتطلباته، جامعًا بين متغيرة وثابته سببٌ لسلامة الوصول للهدف من الدعوة وتحقيقها. وأن الأصالة لا تعني التخلف عن ركب الحضارة المعاصرة بشتى أنواعها، ولا المعاصرة تعني الانفصال عن الأصالة والموروث الديني، وأن موجبات التغيير لوسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر فيه بيان أن الشريعة واقعية، وأن الأنبياء أتوا بالمعقول والقابل للتنفيذ بحسب الزمان والمكان، وما فيه الصلاح والإصلاح لعموم الإنسان عبر الزمان والمكان. وأن التغافل عن منهج الأنبياء كفيلٌ بمضاعفة العسر أو بقائه.

وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر بين الأصالة والمعاصرة والثابت والمتغير في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

Techniques of Prophets' Dealings with their People During Hardship as Original and Contemporary, and Fixed and Changeable in Holy Quran: A Topic Study

Mohammed Yahya Saleh M. Ziyad

Department of Quran Sciences and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen

Keywords:

Concept of Dealing Techniques during Hardship, Originality and Modernity, Changeable and Fixed, Change Requirements,

Abstract:

This study aimed to show the conceptual meaning of techniques of Prophets' dealings with people during hardship in the Holy Quran; originality, contemporariness, fixation, and changeability; and the requirements of changing techniques of prophets' dealing with people during hardship in the Holy Quran. To achieve the objectives of the study, an analytical inductive approach was used. The study was ranged into an introduction, involving definitions of terms, and three sections. In these sections, the researcher addressed hardship and its different forms in the Prophets' dealings with people during hardship in the Holy Quran, showing the meaning of "dealing" as an original and contemporary, and fixed and changeable concept. Then, the requirements of changing techniques of prophets' dealing with people during hardship in the Holy Quran were addressed and analyzed. Accordingly, a number of findings were revealed, most notably: the techniques of prophets' dealings with people during hardship in the Holy Quran refer to those fixed and changeable techniques used by Prophets (peace and prayers upon them) during hardship; the Prophets' changeable dealings were based on states, time, place, and people, i.e., considering reasons and equality concerning states, time, people, and place; the techniques of Da'awa were suitable for that time, remedial for that situation, meeting its requirements, col-lecting between both fixed and changeable variables, and rendering peace for achieving purposes; originality does not mean being behind all types of contemporary civilization nor does contemporariness mean being away from originality and religious legacy; those who believe in all these misconceptions either lack understanding or the desire to understand; the requirements for changing techniques by Prophets when dealing with people during hardship showed that sharia is realistic rather than ideal, and the Messengers came with what was reasonable, applicable, and good for all people in all times and places; and paying no attention for Prophets' approach in this case or showing a lack in enacting it may fix or increase hardship.

المقدمة:

إن الشريعة الإسلامية ممثلةٌ بالأصلين – الكتاب والسنة–جاءت كعملية إنقاذ للبشرية من نوازع الهوى ونزغات الشيطان ومطامع النفس؛ لأن هذه النوازع والمطامع سببٌ رئيس للانحراف عن تحقيق الخلافة في الأرض التي أراد الله تحقيقها من عباده كما قال: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾} [هود:61]. وببقاء تلك النوازع والمطامع دون وازع ديني ستكون الخسارة في الدنيا والآخرة. وإن الإنسان عبر الزمان لم يخل من التبشير والإنذار عن طريق صفوة اختيروا بعناية إلهية؛ ليكونوا محل اقتداء وتَحَمُّلٍ لأعباء ما يُلقى عليهم كما قال الله: {ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾} [الأنعام:124]. ولم تكن أحوال تلك الصفوة كواقع يعيشونه حالًا واحدة كالعسر فقط أو اليسر لا غير، وإنما تناوبت عليهم تلك الأحوال؛ لأن طبيعة الدنيا الابتلاء بهما كما قال الله: { كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾} [الأنبياء:35]. وكان لهم النصيب الأوفر من البلاء بالعسر مصداقًا لقوله–صلى الله عليه وسلم–:(إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[1]. ولأن العسر أيضًا صفة قابلة للتعدي إلى الغير كونًا وشرعًا؛ فجاء هذا البحث ليتحدث عن وسائل تعامل الأنبياء في هذه المرحلة مواكبة ومعاصرة، ومعالجة للعسر من خلال تقديم نماذج من تلك النسخة الوحيدة والصفوة المختارة–عليهم السلام– التي تمثل الكمال في التعامل مع ذلك تذكيرًا وتأكيدًا وتأسيسًا لمعالم تعاملهم للجميع. واقتصرنا على ذكر نماذج من تعاملات بعضهم؛ ليقاس غيرها وغيرهم عليها وعليهم، والأصل أخذ العبرة للحذو، ولأن تكرار المثال على المثال المذكور نفسه مع كفاية دلالته معيبٌ شرعًا وعقلًا، لأن العقل السليم لا يرتضي التكرار الممل لكونه يأخذ وقتًا وجهدًا لما هو مؤسس ومؤكد له. وشرعًا؛ لأن ذلك يُعدُّ حشوًا وسَنَنَ الشريعة منزهة عن مثل ذلك.

ولما للموضوع من أهمية كون الوضع العام يعاني من العسر بشتى صنوفه، فقد كان الاختيار للعنوان مناسبًا حالًا وزمانًا ومكانًا وأشخاصًا باعتقاد الباحث، وتعلقه بسيرة الأنبياء في القرآن؛ ليكون أدعى للانقياد، وأقوى للقبول، وآمن في الاقتداء، وضمانًا للنتيجة.

أولا: مشكلة البحث:

1. ما هو مفهوم وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر؟
2. ما هو وجه العسر على جهة الإجمال والتفصيل الذي يجمع الأنبياء في تلك المرحلة؟
3. ماهي موجبات تغيير وسائل الأنبياء في تعاملهم مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم؟

ثانيًا: أهمية البحث:

1) رفد المكتبة اليمنية والعربية والاسلامية الدعوية والقرآنية ببحث يضيف جديدا في المنهج الدعوي والمعرفة القرآنية.

2) حاجة الأمة عمومًا والقادة خصوصًا إلى كشف وسائل تعاملِ محلِ الاتفاق في الاقتداء

بالأنبياء في زمن العسر؛ لتحقيق المنفعة والأهداف الايجابية المختلفة في حياة المجتمع.

ثالثًا: أهداف البحث:

1) التعريف بمفهوم وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

2) بيان وجهة دلالة الآيات التي تتحدث عن الموضوع ظاهرة الدلالة كانت أو خفية.

3) توضيح المقصود بالثابت والمتغير والأصالة من المعاصرة.

4) ذكر موجبات تغيير وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

رابعًا: منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي؛ لتتبع وجمع النصوص. والمنهج التحليلي؛ لبيانها وبيان وجوه الدلالة والمقاصد في مضامينها ومفرداتها.

خامسًا: إجراءات البحث:

التزام الباحث في هذا البحث بما هو معلوم بالضرورة في مناهج البحث العلمي من التوثيق والعزو والتخريج للنصوص او التعريف بغريب الألفاظ والمصطلحات والأعلام وغير ذلك.

سادسًا: حدود البحث:

وأما حدوده فستكون حول الآيات التي تتحدث عن وسائل تعامل الأنبياء زمن العسر، ثباتًا وتغييرًا وأصالة ومعاصرة، وموجبات التغيير في تعاملهم.

سابعا: الدراسات السابقة:

1) أثر المتغيرات المستمرة في الفتوى، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة: صفاء خضر إسماعيل عياد، إشراف الدكتور/ مازن إسماعيل هنية، تخصص فقه مقارن من كلية الشريعة والقانون في الجامعة الإسلامية بغزة فك الله كربتها 1437هـ-2015م. وهذه الرسالة من عنوانها يتضح مضمون ما تكلمت عنه.

2) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، الأستاذ الدكتور/ صلاح الصاوي، ودراسته تتمحور حول المتغيرات والثوابت في مفهوم الشريعة والمتغيرات والثوابت في واقع العمل الإسلامي، فهي أقرب ما تكون رسالة بيان للمسائل المتفق عليها فيكون الاجتماع والإجماع، أو المتغيرات في الشريعة وما يناسبها في الواقع فيكون الإعذار وعدم التعصب أو التحزب على ذلك. وتناول كثيرًا من القضايا الدعوية والسياسية والعقدية ونحو ذلك.

الفرق: إن بحثنا يتعلق بالوسائل في تعامل الأنبياء خصوصًا، وفي زمن معلوم وهو العسر، وموجبات التغيير، وكل ذلك فيما ورد ذكره في القرآن الكريم وما يعضده من السنة النبوية.

4) أساليب الرسل في مواجهة أقوامهم، للباحثة نهضة الشريفي، 10اكتوبر 2019 م. وقد ذكرت منها 1-طريق المعجزة 2-الأسلوب العلمي. 3-أساليب أخرى . 4- أسلوب الترغيب والترهيب والاعتبار بالأمم السابقة. 5-أسلوب الترغيب 6-طريق الحكمة والوعظ والإرشاد. وهذه الدراسة من خلال تصفحها وجدت الفروق الآتية: 1-كون الكلام في المحاور السابقة عامًا، وبحثنا خاص.2-كلامه عن المعجزة قصدًا ليثبت

ما أراده في سياق المبحث وهو إثبات صدق موسى ورسالته، كحوار مع الكافرين–فرعون–أو المكذبين، بينما بحثنا ذكر المعجزة عرضًا ليثبت مقصدًا آخر وهو سيلة تعامل النبي مع قومه؛ لتعليم منهجي في توقيت الإدلاء بالحجة وأصالتها وقابليتها في وسائل تقديمها كمتغيرات أو ثوابت وفي زمن العسر. 3–والملاحظ عليها في بعض مباحثها تذكر الآيات ولم تعلق عليها أو تبين وجه الشاهد لما يخدم بحثها، بينما بحثنا يسوق الآية أو المحور مبينًا وجه الشاهد منها. ومن حيث الطريقة: فإن البحث فيها لم يتطرق البتة إلى بيان الأصيل والمعاصر أو المتغير والثابت في المحاور المذكورة بينما بحثنا ذكر ذلك بحسب المقام. 4–بحثنا ساق وسائل التعامل مبينًا الفرق بينها وبين الأساليب كونها خاصة والوسائل أعم، وهي بخلاف ذلك. ولم تتكلم عن مصوغات موجبات التغيير، بينما بحثنا تحدث عن ذلك.

5) منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم، حميد بن محمد لحميد، إشراف د. خالد نبوي سليمان حجاج، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه، من جامعة المدينة العالمية، دولة ماليزيا، سبتمبر 2012م، ج1، وج2، المكتبة الشاملة الذهبية. وهذا الرسالة تختلف مع بحثنا بالآتي: 1–كونها تتكلم عن الحوار عمومًا، بينما بحثنا لو ذكر الحوار فسياقه في حالة العسر، وذكر وجه المتغير والثابت والأصيل والمعاصر في كل ذلك، وبحثه لم يتطرق لذلك البتة. 2–كلامه عن الحوار من حيث المستهدف من الحوار، وذكر الملائكة وإبليس، والأنبياء، وبحثنا ذكر الحوار مع الأنبياء فقط وبطريقته المذكورة سلفًا. 3–لم يتعرض بحثه إلى ذكر موجبات التغيير لوسائل التعامل الذي كان الحوار هو محور دراسته أصلًا، بينما بحثنا تعرض لوسائل التعامل عمومًا ومنها الحوار، فبحثنا عام من حيث الوسائل، وبحثه خاص من حيث الأسلوب–الحوار–وعام من حيث الزمن، وبحثنا خاص فيه. والخلاصة: فالبون شاسع من حيث الموضوع ووسائله وزمنه وموجبات تغييره. والفارق في نتائج بحثه وبحثي يبين ذلك.

6– أدب تعامل الانبياء مع اقوامهم في ضوء القصص القرآني ... شعيب "عليه السلام" مع قومه انموذجا: جعفر رمضان 04/07/2019 https://imamhussain.org /arabic . وهذا بحث عام كعنوان خاص كنموذج، وهذا أول فارق جوهري؛ لأن بحثنا عامٌ من حيث العنوان وأغلبي من حيث النماذج. وبحثه كمقال فقط، ومعلوم الفرق بين كتابة المقال في الطريقة والأسلوب والمنهجية والاستيعاب، والكتابة الأكاديمية.

7) نصح الأنبياء لأقوامهم، الشيخ حسن أبو الأشبال، المكتبة الشاملة، على الرابط: https://shamela.ws/book/37626/61. وهذا كذلك بحثه ضمن دروس ملقاة على طلاب، فلا ترتيب منهجي ولا علمي، علاوة على أنه طرح تقليدي، وذكر نوحا وشعيبًا ونبينا–صلى الله عليه وعليهم أجمعين–، وكونه عاما، بينما بحثنا بطريقة أكاديمية ومنهجية وعلمية، وفي زمن العسر. وذكر

بحثنا المتغير والثابت والمعاصر والأصيل والمتغيرات، وبحثه خلا من ذلك كله.

ثامنا: هيكلة البحث:

وقد انتظم بناء محتوى البحث من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

-فكانت المقدمة ترجمة للخلفية المنهجية للبحث. وكان التمهيد مخصصا للتعريف بمصطلحات البحث لغة واصطلاحًا، مثل: تعريف الوسيلة. وتعريف العسر، وتعريف الأصالة والمعاصرة، وتعريف الثابت والمتغير.

-أما المبحث الأول: فقد كرس لبيان وجه العسر ونوعه في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

-وأما المبحث الثاني: فقد تعرض لذكر مفهوم التعامل بين الأصالة والمعاصرة، والثابت والمتغير.

-وجاء المبحث الثالث والأخير: لعرض وتحليل موجبات تغيير وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

-وأما الخاتمة: فقد خرجت بعدد من النتائج والتوصيات والمقترحات.

التمهيد: أولًا: تعريف الوسيلة لغة واصطلاحًا.

1. الوسيلة لغة: الوسيلة جمعها وسائل، وهي ما يتُقرب به إلى الشيء[2]. وتطلق على الوصلة والقربة ليتقرب ويُتَوصل بها، وتطلق على المكانة والدرجة العالية[3].

فعلى المعنى الأول: يقال: توسل فلان إلى فلان، أي تقرب بواسطة فلان لقضاء مأربه، وتوسل إلى الله، تقرب بعمل يرجو به ما عند الله.

والواسل هو الراغب إلى الله، كما قال الله: { وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴿٣٥﴾} [المائدة:35].

والمعنى الثاني: بمعنى المكانة العالية، فهي عَلَمٌ على أعلى مكان في الجنة[4]، وهي منزلة رسول الله-ﷺ-فيها. ودليله قول نبينا-ﷺ-: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه وسلم بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[5].

2. **الوسيلة اصطلاحًا.**

الوسيلة اصطلاحًا: تعرف في الاصطلاح بحسب التخصص والإضافة، فمثلًا في باب الدعوة: يقال: "هي كل ما يتوسل به إلى الدعوة"[6].

وقيل: "ما يستعين به الداعي على تبليغ دعوته، على نحو مثمر"[7].

وقيل: "هي ما يستخدمه الداعي من وسائل حسية لنقل الدعوة إلى المدعوين"[8].

والتعريفات الثلاثة عليها ردود وإشكالات وإن كانت تعريفاتهم في تخصصهم. فمثلًا التعريف الأول، لا تدري هل هو قصد ما يتوسل به إلى الدعوة؟ أو ما يتوسل به إلى تبليغها؟ والتعريف الثاني، ذكر الثمرة بقوله" على نحو مثمر" وهذا لا

يلزم حتى يكون شرطًا في الوسيلة، فضلًا من أن يكون كمحترزٍ في التعريف؛ لأن الوسيلة قد تكون صحيحة، والثمرة لا تتحقق، فلا تلازم بين الثمرة والوسيلة، وثمة رسل دعوا أقوامهم فلم يستجب لهم أحدٌ، فهل يقال: إنهم لم يستخدموا الوسيلة الصحيحة؛ لعدم وجود الثمرة؟ مع أننا لا نقول: إن صاحب التعريف قصد ذلك-غفر الله له ورحمه-، وليس بلازم له؛ لأن لازم القول ليس بقول لصاحبه[9]، غير أن الإشكالات قد ترد على الاجتهادات عمومًا.

وأمَّا التعريف الثالث: فحصره للوسائل الدعوية بالمحسوسة غير مُسلَّم به؛ لأن هناك وسائل معنوية، كالدعاء مثلًا للمدعوين ونحو ذلك.

ولعل أقرب تعريف لها هو أن يقال: هي ما يستعمله الداعي من الوسائل يقينًا أو ظنًا غالبًا لدعوة الآخر وانتفاعه بها. فهذا تعريف جامع مانع والله أعلم. وهذا كترجيح لتعريفها بشكل عام. وأمَّا التعريف الإجرائي للوسيلة هو أن يقال: ما استخدمه الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم-من الطرق في تعاملهم مع أقوامهم في مرحلة العسر.

- **ما الفرق بين الوسيلة والأسلوب؟**

-يقال: الأسلوب هو الطريق، ولذا يقال: فلان على أسلوب القوم أي على طريقتهم[10]، والأساليب هي الفنون المختلفة. وخلاصة ما يدل عليه هذا اللفظ في اللغة هو: الطريق والوجهة والمذهب والفن.

وأما في الاصطلاح: فإن الأسلوب نظرًا لتعدد مفهومه بحسب إضافته فقد عُرِّف بالآتي: فقيل: "هو ما يراد عرضه من معاني وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة"[11].

وقيل: "هو صيغ التبليغ في دعوة الناس"[12]. والتعريف الثاني أسلم من الاعتراضات؛ لكونه خال عن الحشو. ف"معاني وأفكار ومبادئ" في التعريف الأول بمعنى متقارب إن لم يكن متحدًا، والتطويل بما لا فائدة منه. ومع سلامة التعريف الثاني من الاعتراضات فهو لا يعنينا في بحثنا.

والتعريف الإجرائي للأسلوب: هو عبارة عن صيغ التعامل في دعوة الأنبياء أقوامَهم زمن العسر.

والفروق بين الوسيلة والأسلوب هو:

1. الوسيلة مقدمة على الأسلوب.
2. الوسيلة هي من تحدد الأسلوب غالبًا.
3. عن طريق الوسيلة يستنبط الأسلوب الأنسب.
4. الوسيلة أعم والأسلوب أخص.
5. قد تكون الوسيلة واحدة والأسلوب متعدد، مثل الجهاد وسيلة، والجهاد بالنفس والمال والإعلام أساليب.

والخلاصة أن كليهما يخضعان-غالبًا- للاجتهاد، بحسب الزمان والمكان والحال والشخص.

ولذلك اخْتيرت الوسيلة على الأسلوب؛ لما سبق ذكره من الفروق، كونها أعم، وأصلًا، ومقدمة، وذُكرتْ في القرآن لتخدم المعنى نفسه، كما قال الله: { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ } [الإسراء:57].

ثانيًا: تعريف العسر لغة واصطلاحًا.

1. العسر في اللغة: يأتي على معاني متقاربة يجمعها مفهوم الصعوبة، فيكون بمعني الشدة والضيق والحرج والضنك، وكل هذه المعاني من العسر أو ملازمة لمفهومه[13].

2. مفهوم العسر اصطلاحًا: فثمة ارتباط بين المعنيين اللغوي والشرعي، تجمعهما الصعوبة في الشيء. وبناء عليه فإن المفهوم الاصطلاحي هو أن يقال: هو موقف صعبٌ مرَّ به الأنبياء شكَّل حالة نفسية وجسدية من خلال تعاملهم مع أقوامهم في تلك المرحلة. وقول: نفسية وجسدية؛ لأن العسر قد يكون نفسيًا بسبب قول كالاستهزاء أو العناد ونحو ذلك، وقيل: جسديًا؛ لأن أثر الحزن النفسي مردوده على الجسد أيضًا، وقد يكون فعليًا كالتعدي عليه جسديًا.

ثالثًا: تعريف الأصالة والمعاصرة لغة واصطلاحًا.

1. الأصالة لغة: أصل الشيء، أي صار ذا أصل، وأصل الشيء أصالة: ثبت وقوي. والأصالة في الرأي: جودته. وفي الأسلوب: ابتكاره. وفي النسب: عراقته. وأصل الشيء: أساسه ومنشأة الذي يعتمد عليه[14].

2. الأصالة اصطلاحًا: قيل: "هي المحافظة على ذاتية الدعوة، باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بمبادئها الأساسية "[15]. وهذا تعريف فيما يخص الدعوة عمومًا.

3. وأما التعريف العام الاصطلاحي للأصالة فإني لم أجد من عرفه –حسب بحثي–تعريفًا عامًا، وعليه فكما يظهر للباحث في مفهومها: هي المحافظة على الموروث تلقيًا واستدلالًا.

4. وأما التعريف الإجرائي فيما يخص بحثنا فيقال: هي التوقف على الوسيلة الدعوية التي استعملها الأنبياء بذاتها في تعاملهم مع أقوامهم في حالة العسر.

ويناقض هذه الأصالة هو بُعد الداعية بدعوته عن المنهج الحق، وعن أصوله وأدلته، وانحرافه عن مبادئه وأسسه.

وبناء على هذا فإن وصف الأصالة باقٍ للدعوة الحق، في عموم الزمان والمكان والإنسان. فلا يفهم أن الأصالة تطلق على القديم، بل هذا القديم لا يصح إيمان عبد إلا باعتقاده كأصل في التسليم بما جاء في الوحيين. فالأصالة بمعنى عراقة المنهج، وأصل ومنشأ الحق، وهي بهذا المعنى منذ نشأتها فهي أصيلة إلى أن تفارق أرواح الناس أجسامهم.

1–المعاصرة لغة: يقال: عاصر يعاصر معاصرة إذا عاش معه أحد في عصره. والعصر جمعه عصور وأعصر[16]. والمعاصرة المفاعلة، وكأن التفاعل حاصلٌ بين طرفين، في الزمان والمكان والحال والشخص. وهذا المفهوم يكاد يصرح بالمعنى الاصطلاحي الذي يدل على أن الدعوة تتعامل مع واقعها الذي تعيش فيه، فيما ينبغي أن تواكبه كما سيأتي بيانه.

2-المعاصرة اصطلاحًا:

-قيل: "تكافؤ الدعوة مع العصر، بحيث تعالج واقعه، وتلبي مطالبه"[17]. ولعل التعبير بتكافؤ فيه شيء؛ وذلك أنه-اللفظ-يشير إلى التماثل أو التشابه، وهذا لا يفي بمعنى المعاصرة، والكلام حول مواكبة الدعوة في وسائلها في عصرها، ولو قيل: تَنَاسب، لكان أسلم. وقوله: الدعوة، لا يناسب وضع هذا المصطلح في المعاصرة؛ لأن الكلام عن وسائلها-في الأصل-لا عن الدعوة نفسها؛ لأنها أصيلة.

-وقيل: "هي أن يعيش المرء في عصره، عارفًا بزمانه، مقبلًا على شأنه بأصالته، آخذًا بمقتضيات عصره "[18]. ويلاحظ على هذا التعريف تركيزه على تفاعل الفرد مع عصره، متكلمًا عن أصالته دون التعريض بالوسائل التي نصت أو دلت عليها أصالته؛ ليجمع بين أصالة المنهج وعصرية المواجهة.

والتعريف الأقرب إلى الموضوع: هو أن يقال: هي تناسب وسائل الدعوة مع العصر، معالجة لواقعه، وتلبية لمتطلباته.

وأمَّا التعريف الإجرائي هو: مناسبة وسائل دعوة الأنبياء لأقوامهم مع عصرهم، معالجة واستجابة في حالة العسر.

***-التحقيق في مفهوميهما:** وبعد معرفة معنى المعاصرة، تبين أن ما يناقض المعاصرة بهذا المفهوم هو قصور وسائل الدعوة، أو دلالة الدعوة نفسها على مدى استيعابها لمتطلبات العصر في وسائلها، وكذلك كون المعاصرة ملازمة لمرونة الدعوة وصلاحها في وسائلها باستيعاب متطلبات عصرها، فلا يلزم أن يحصر مفهوم المعاصرة بعصرنا كما قد يُفْهَمُ من ظاهر اللفظ، وإنما معاصرتها لكل وقت وحال ومكان وشخص بذلك العصر. فلا الأصالة تعني التخلف عن ركب الحضارة المعاصرة بشتى أنواعها، ولا المعاصرة تعني الانفصال عن الأصالة والموروث الديني، ومن توهم غير هذا فهو إمَّا لقلة تقدير في فهمهما، أو لا يريد أن يفهم.

رابعًا: تعريف الثابت والمتغير لغة واصطلاحًا.

1. الثابت في اللغة يستعمل لعدة معاني منها:

- القيام والوجود، يقال: فلان قائم وموجود أي ثابت.
- والملازمة والدوام، يقال: فلانه أثبته المرض إذا لم يفارقه.
- ومنه: التحقق بمعنى التثبت.
- ومنه: السكون، ومنه قول الله: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴿١٢٠﴾}[هود:120]. فكثرة الأدلة، ومشاركة الناس في المصيبة، يهونها عليهم فيجعل الفؤاد ساكنًا أي ثابتًا[19]. وغير ذلك من المعاني المتعددة، التي يجمعها معنى الاستقرار والدوام[20].

2. والمتغير في اللغة: يقال: غير يغير تغييرًا، وله عدة معاني منها:

- التبديل من بَدَّلَ يبدل تبديلًا، أي تحويلًا، ومنه قول الله: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا

عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾}

[الأنفال:53].

- ومنه: الاختلاف يقال: غُيِّر عليه الأمر إذا اختلف.
- ومنه: التحويل، يقال: تغير الشيء عما كان أي تحول. وغير ذلك من المعاني التي يجمعها طبيعة الشيء في قبوله للتحول والتبديل والاختلاف.

3. والتعريف الاصطلاحي للثابت، قيل: "هو المعلوم من الدين بالضرورة، مما هو مجمع عليه "[21]. وقيل: "هي القطعيات ومواضع الإجماع"[22].

وكلام العلماء كما هو ظاهر على التعريف بالعموم، غير أنهم عند التمثيل قد يحصل خلاف على بعض المسائل هل تلحق بالقطعيات أم بالظنيات؟ لكن الاتفاق بينهم على المتفق عليه. مثل: مسائل الإيمان، كالإيمان بالملائكة، والجنة والنار واليوم الآخر ونحو ذلك. وأصول العبادات، مثل: أركان الإسلام. وأمهات الأخلاق، كالصدق والإحسان. وأصول المعاملات والسياسات، كقانون العدل والشورى بناء وأداءً، والمساواة والاقتصاد. غير أن تفصيلات وتطبيقات ذلك في قسم الظنيات؛ لأنها خاضعة للتغيير بحسب الحال والزمان والمكان والأشخاص. وتسمى أيضًا بالسمعيات والإلهيات والنبوات[23]، وهذه حقائق لا تقبل التغيير ولا التبديل عبر الزمان والإنسان، وهذا من حيث نصوصيتها–قطعيتها في دلالتها[24]، أو ورودها وإن كانت آحادًا–[25]، وأمَّا ما قد يكتنف النص من احتمال في الفهم في بعض المواضع فالمرجع في فهمه هو ما سار عليه الصالحون من القرون المفضلة.

1- وأما التعريف الاصطلاحي للمتغير: هي الظنيات ورودًا ودلالة[26]. وهذا التعريف الأصل إعماله بعد وفات النبي–صلى الله عليه وسلم–وقد يكون قابلا لإعماله في بحثنا من حيث إن أعمال الأنبياء أو أقوالهم في تعاملاتهم مع أقوامهم زمن العسر تقبل التغيير، ولسنا متعبدين بها من حيث نفس التعامل بل من حيث التأصيل؛ لأنه ليس كل أعمال الأقوام متحدة عبر الزمن حتى نستخدم نفس تعاملهم. وكذا قد نعمل هذا التعريف من جهة أن ما ينسب إلى الأنبياء في التعامل لم يكن كله توقيفيًا، بل هناك أعمال فعلوها بكونهم أئمة وقادة، مثلًا حد الردة، هل قتل المرتد مسألة قالها النبي لكونه مبلغًا مفتيًا؟ أم قائدًا وإمامًا؟[27] فالظنيات تقبل الاجتهاد في العمل أو الترك أو التقديم أو التأخير، غير أن ذلك خاص فيما بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–، **والتعريف الإجرائي:** هي كل قول أو فعلٍ كان قابلا من حيث التقديم أو التأخير، أو العمل في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

المبحث الأول: وجه العسر ونوعه في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

أولًا: وجوه العسر عند الأنبياء:

*** فأما وجه العسر الأول: هو عناد أقوامهم بعدم الإيمان** وهذا عسر معنوي، فإن الله قال عن

بعض رسله وهو يتحدث عن حالهم عند أن يروا معاندة قومهم لهم وعدم إيمانهم: { فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ } [الكهف:6]. { لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ } [الشعراء:3]. والباخع نفسه هو المهلك نفسه لأمرٍ ما[28]، وإن كان السياق هو الحديث عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– لكن هذه حالة بسبب صفة الكمال، وهي الإيمان وكماله؛ فإن المؤمن كامل الإيمان لا شك أنه يحزن بل قد يهلكه الحزن على عدم استجابة الناس لدعوة الله والانقياد لها، والرسل جميعًا بدون استثناء يجمعهم هذا الوصف ومن ثمَّ يجمعهم العسر المذكور.

وقال الله: { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ } [فاطر:8]. فبقدر ما هو تسلية للرسول –صلى الله عليه وسلم– هو تعبيرٌ عن كثرة الحسرات، فإنه لم يقل: حسرة وإنما حسرات، نكَّر وجمع[29]؛ ليدل على شدة وكثرة حزن الرسول الذي بلغ به؛ لعدم إيمان القوم، وهكذا يقال في بقية الرسل من حيث سبب العسر ووجه كما بينا سابقًا.

وقال الله: {فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾} [المائدة:26]. {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾} [المائدة:68]. { وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾} [النحل:127]. {وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾} [النمل:70].

ففي هذه الآيات ينهى الله نبيه –صلى الله عليه وسلم –، وموسى –عليه السلام– عن الحزن والأسى لعدم إيمان وفسق بعض الأقوام، وما يقال فيهما يقال في غيرهم في سبب العسر ووجه؛ لكون الباعث لهما على الحزن هو الإيمان الكامل، والإيمان صفة قابلة للتعدية والأثر. والنهي عن الشيء دليل حصول المنهي عنه[30].

وقال الله: {وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾} [نوح:26]. فظاهر الآية يوحي ببعد وجهة الاستدلال؛ حيث إنه يدعو على قومه بالهلاك الجذري، لكن الجواب هو أن يقال أولًا: إن دعاءه كان بعد إعلام الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن كما ذكر القرآن الكريم[31]. ثانيًا: استقراؤه التام[32] بحالهم لأكثر من تسع مئة وخمسن عام. ثالثًا: إن دعاءه دليل على الخوف الشديد والحزن الكبير لما سيسببه هؤلاء القوم للأجيال القادمة، فدعا الله عليهم ألا يبقى منهم عينًا تطرف، وهذا هو وجه الاستدلال، وهذا لشدة خوفه على الأجيال القادمة.

وقال الله: {وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ ﴿١٧٦﴾} [آل عمران:176]. نهاه عن الحزن وهذا دليل على وقوعه وبشهادات الآيات الأخرى التي تنص على أنه يبلغ به الحزن على عدم إيمانهم حد القتل للنفس، والشاهد هو أنه –سبحانه– ذكر لفظة "في" التي تفيد الظرفية، ولم يستخدم "إلى"؛ لأن لفظ " إلى" لا يفيد ما يفيده لفظ " في"[33] وذلك أنه لو استخدم –والله أعلم– "إلى" لكان يفهم أنهم كانوا على

الإسلام، فمسارعتهم إلى شيء لم يكونوا فيه، وهذا معنى بعيد حسب ما يفيده لفظ "في" فاستخدم لفظ " في" الدال على أنهم في الكفر ويسارعون من كفر إلى كفر[34]، ومعلوم أن الكفر يتفاوت بحسب الأعمال، فليس الملحد كالكافر ممن يقر بوجود الرب وهكذا، والمراد هو أن الرسول–صلى الله عليه وسلم–يحزن،–وهذا وجه العسر–، على أن ينتقل الكافر ذاته من كفر إلى كفر أغلظ منه؛ خشية زيادة العذاب على بني الإنسان، وإلا فما فائدة حزنه بناء على ما ذكرناه؟ ولأن العذاب يتضاعف بحسب زيادة الأعمال كفرٌ أو عصيان كما قال الله: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾} [النحل:88]. وهذا دليل آخر على أن الرسول وهكذا بقية الرسل–عليهم السلام وعلى رسولنا الصلاة والسلام–يحزنون ويصيبهم العسر على زيادة كفر الكافر؛ خشية أن يزيده الله عذابًا فوق العذاب إذ لا فائدة للإنسان أو مصلحة يرجوها من وراء زيادة عذاب الإنسان، فكيف سيكون حزنهم على عدم إيمان الناس ابتداء! بل كيف سيكون حزنهم على من كان مؤمنًا ثم ارتد! وهذا هو وجه العسر.

- **وأما وجه العسر الثاني:** فهو بسبب الأذية قولية أو فعلية، وذلك بالتكذيب أو الاستهزاء أو نحو ذلك، فإذا كان الرسل –عليهم السلام– يحزنهم عدم إيمان الناس أو ارتداد مؤمن، فكيف عند أن يُشكك برسالتهم التي هي سبب لهداية الناس! قال الله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾} [الحجر:97]. وقال: { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾} [هود:12]. وقال: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنعام:33]. فما سبق ذكره هو وجه العسر بشكل إجمالي بسبب عدم الإيمان أو الأذية الحسية والمعنوية.

- **ثانيًا: أنواع العسر:** وأما نوعه من حيث التفصيل فكالآتي:

1- العسر الفكري (العقدي): أول عسر واجهوه هو العسر الفكري في جانب التوحيد والعقيدة، وهذا النوع من العسر ليس له إلا ما يساويه، أي مخاطبة فكرية مقنعة تتسم بقوة الحجة وبوضوحها ومناسبتها للمخاطب، ولن تجدي نفعًا أي وسيلة أخرى لتنوب عنها؛ لأن ما كان متعلقًا بالعقل فلا إقناع له إلا عن طريق العقل، وذلك بالأدلة النقلية والعقلية. والقوة وحدها لا تولد القناعة، بل تُوْجِدُ مجموعة من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، والإسلام يرفض هذا البناء؛ لأنه يريد مسلمًا ومؤمنًا باطنًا وظاهرًا، ولأنه مطالب بتقوى الله في السر والعلن والخلوات والجلوات، لكنه لو كان خلاف ذلك، فالقوة قد تَغِيبُ أو تُغَيَّبُ، والقانون قد يؤول، والحارس قد يغفل، وعند ذلك لا تسأل عن منتهى العبث الذي سيكون بالذات وبالآخر، وبصحة الفكر وسلامته من الانحراف سواء في مصادره أو وسائله، نضمن سلامة الأفعال ومن ثَمَّ نتائجها في الواقع.

إن اضطراب البناء الفكري للإنسان المسلم هو التفسير المقنع لكافة ظواهر التخلف في أمتنا–بمفهومه الكامل–المتفشي في سائر أحوال الأمة، وأزمتنا عند التمحيص أزمة فكرية وفقدان الوعي القويم المبني على وحي السماء. ولذلك كان الرسل–عليهم الصلاة السلام–تركيزهم على هذا النوع من العسر أوليًا؛ لعلمهم أن أقدر الناس على التحكم بقدرات الآخرين ماديًا وتوجيهيًا ونفسيًا وعسكريًا، هو مَنْ أخذَ بنواصي أفكارهم وعقولهم، ولعلمهم أن اتخاذ الفرد المدعو أو الجماعة–في الأصل –موقفًا تجاه أي قديم أو مستجد في سائر الأمور، هو من خلال المعرفة والفكر بذلك. ولعلم الله بخلقه، وأول الطرق والوسائل التي بها ينقادون له ظاهرًا وباطنًا هي القناعة العقلية فكان أول خطاب في دينهم هو متجه نحو العقل كما قال الله: { فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾} [محمد:19]. [35] وقال عن موسى: {وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾} [طه:13].

فقد كان ثمَّة قناعات عند الجاهلية في شتى المجالات وكان يواجه تلك الجبهات كلها، لعلمه أن القوم لا ينقادون ولن يَسْلَمَ أو تَسلَمَ الدعوةُ ورجالُها من أذى الجاهلية إلا بإقناع أصحابها بهذا الدين، وهذا يستلزم جهدًا كبيرًا على كل المستويات وكافَّة الأصعدة، وهذا وراءه عسرٌ متعدد الأصناف ومختلف الأنواع.

فالقضية الفكرية كقضية التوحيد التي اشترك فيها مع غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام جعلتهم، يواجهون تحديًا كبيرًا في معالجتها، ويعظم التحدي والعسر عند أن يكون زعماؤه هم من الملاء؛ لكونهم يمتلكون القوة والأتباع، في حين أن الرسل–عليهم السلام–في بداية دعوتهم يمرون بمرحلة الضعف، ولذلك عند أن دعاهم الرسول–صلى الله عليه وسلم–إلى التوحيد المتمثل بكلمة: "لا إله إلا الله " قالوا موصين بعضهم بعضًا[36]: {وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾} [ص:6]. وعندما يكون الملاء هم الذين يقودون حملة التصدي والأذى كما ذُكِرَ؛ فالعسر الحاصل للطرف الآخر على قدر العدو وقوته.

2- العسر الأخلاقي: وهذا ما حصل من قوم لوطٍ–عليه السلام–من انتكاس فطرهم بممارسة تلك الجريمة التي يتنزه عنها حتى الحيوانات، بل لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين كما قال الله: {وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾} [الأعراف:80]. فقد استخدم معهم عدة وسائل لزجرهم عن هذه الجريمة، غير أنهم هددوه بالإخراج والطرد قائلين كما قال الله: { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾} [النمل:56]. وما أعظم الحزن والعسر الذي سيلحقك عند أن تكون جريمتك هي الطهارة! ويقرر الملاء طردك وأذيتك بسببها! بل توصل الأمر أنهم أرادوا حتى التعدي على ضيوفه وصرح لوط–عليه السلام–بحزنه بقوله كما قال الله عنه: {وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ

بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾} [هود:77]. فحاول متوسلًا إليهم بالعرف: { قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾} [الحجر:68]. والشرع: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾} [الحجر:69]. وتمنَّى أن يكون لديه قوة أو رجلا رشيدا؛ ليدفع أذاهم عن ضيوفه، لكن دون جدوى!: {أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾} [هود:78]. {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾} [هود:80]. قالوا ردًا عليه كما قال الله عنهم: {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾} [هود:79]. وقالوا كما قال الله عنهم: {قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾} [الحجر:70].

3- العسر الاقتصادي: وهذا الجانب معلومٌ أثره على الإنسان وما يُشَكِلُ ضعفه أو فقدانه أو تهديه من عسرٍ لدى الإنسان عمومًا؛ إذ هو مقوم الحياة الضرورية لديه، ولذلك لا بد أن يكون له دورٌ في إدخال الحزن ومن ثمَّ العسر في رفعه أو دفعه. فهذا يوسف-عليه السلام -وهو في سجنه وغربته وبعيدًا عن أهله وذويه، فلا مرية أن العسر يحتويه من كل جانب، ثمَّ العسر المخيف الذي سيواجه القوم الذين هو مقيمٌ عندهم في السجن! عسرٌ اقتصادي كما هو مبينٌ في سورة يوسف في رؤيا الملك.

وهذا العسر تارة يكون قدريًا لا يد للبشر فيه، وتارة يصنعه الأعداء، وهذا فنٌ جديد يستخدمه الأعداء من أجل السيطرة على الناس ليخضعوهم لقرارات معينة تخدم تلك الجهات، فإما أن يتحكموا بمقدرات الأمة منعًا لإخراجها وتفعيلها، وإما بنهبها؛ لعلمهم أن من تحكم بِقُوْتِك تحكم بقرارك وقوتك، وبقدر حريتك الاقتصادية تكون حريتك الفكرية، فمصدر الدخل المعيشي غالبًا يحدد مُخْرَجَكَ الفكري ومن ثمَّ التحرك العملي.

والعسر الذي واجهه يوسف-عليه السلام- عسرٌ قدري؛ لأن رؤيا الملك مخيفة ومقلقة له، وهي بمثابة داء يحتاج إلى دواء. فبدأ يوسف-عليه السلام-بالتأصيل النظري ومن ثمَّ التأصيل العملي. والعلاج لأي أمرٍ لا بد أن يكون مركبًا من أمرين: علم وعمل. ودواء يوسف-عليه السلام-لهذه الأزمة كان كذلك. والعسر لتلك الأزمة الحالي والمستقبلي، فالمستقبلي كونه عسرًا معلومٌ. وأمَّا العسر الحالي في ذلك، فالخوف من المستقبل يمثل عسرًا لدى الخائف حالًا؛ لأن الخوف هو:" تألم القلب واحتراقه بسبب مكروه في المستقبل"[37]. والخوف قد يكون بسبب التخوف من حدوث شيء أو عدم حصوله، وما نحن بصدده هو تخوف من حدوث شيء، وهو الكارثة الاقتصادية. إذن العسر الحالي هو ما يحدث من تحرق وألم وإتعابٍ لملك الجوارح وهو القلب، من حدوث شيء أو عدمه مما لا يرجوه الفرد. وهذا لا شك عسرٌ؛ لكونه يستلزم جهدًا فكريًا وعمليًا لدى المصلح على كافة المستويات، وهذا هو وجه العسر والصعوبة.

وعسر النبي-صلى الله عليه وسلم-مع أصحابه لمَّا تآمر المنافقون بهذه الحرب الاقتصادية؛ علَّهم يضيقوا عليه وأصحابه كما قال الله عنهم:{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ

رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾} [المنـافقون:7]. وحصـار قريش للنبي–صلى الله عليه وسلم–ومن آمن معه ودخل معه في الحصار من لم يؤمن من بني عمه عصـبية، وهـذا مـن ضـمن العسـر الاقتصـادي، وسـعى النبـي إلـى فـكِّ هـذا الحصـار، وواجهـه بالثبات والصبر وهذه وسائل أصيلة وثابتة، وأقرَّ مـا قـام بـه بعض كفار قريش حمية لتقطيع تلك الصحيفة، وهذا من المتغير والمعاصر الذي راعاه وأيده–صلى الله عليه وسلم–، وقيل: جاء وحي من ربه أن الصحيفة قد ذهبت كلها من ظلم وقطيعة إلا ما كان اسمًا لله بقي، وكان ذلك سببًا لانتهاء الحصار[38].

4- العسـر الاجتمـاعي: إن المجتمـع الـذي تجمعه عادات وتقاليد معينة وغالبها عند تغييب الرسالة أو غياب آثارها في مجتمع معين يكون مخالفًا لشرع الله في السلوك والتعبد وغير ذلك من المجالات، وتلك القيم والعادات تبنى–غالبًا–على الجهل والتقليد، وهما رأسا الانحراف للمجتمعات، ولذا جاء القرآن ابتداء داعيًا إلى العلم، والتحرر من ربقة التقليد بتحكيم العقل، وأن تُجعل له مكانة من التفكير ليصل إلى الحق؛ لأنه وسيلة يهتدي بنـور الـوحي قـال الله: {قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾} [سبأ:46]. فهذه هي دعوة للتفكر والتدبر في أمر هذه الـدعوة ونبيهـا، بعيـدًا عـن العقـل الجمعـي[39]، وضوضـائية الجمـاهير –المجتمـع– مجـردين عـن الهـوى والمصـلحة، محكمـين عقـولكم فـي التفكيـر ومـنطقكم السـليم، بعيـدين عـن التقليـد، فستصـلون إلى الحق ولا بد[40]. والجهل المركب والتقليد، من أصـعب أنـواع العسـر فـي العمليـة التربويـة للمجتمعات والأفراد ودون ذلك جهد كبير وعسر عظـيم؛ لأن الأول يجهـل، لكنـه يجهـل أنـه يجهل[41]. والثاني: يظن أن سير الآباء كان على دين قويم، ولولا صحته لما سار عليه الآباء ومن قبلهم؛ لكونـه دين يصـعب أو يستحال في نظرهم أن يكون باطلًا. وهذا كان من النوع الذي عانى منـه أغلـب الأنبيـاء كمـا قـال الله عـن تلـك المجتمعـات: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾} [لقمـان:21]. {وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾} [الزخـرف:23]. وهـذا الاجمـاع والاجتمـاع مـن أقـوامهم علـى التقليـد وبالجهـل لا عـن علـم، مثَّـل عسـرًا كبيـرًا لـدى الأنبياء–عليهم السلام–وما تفرع عنه من اجتماع القبائل للمناوئة والتصدي والأذى للرسل ما هو إلا أثرٌ عن ذلك.

5- العسر التربوي: وهذا عسرٌ جامع لكل الأنبيـاء؛ كـون التربيـة عامـة، فكريـة وعقديـة وعسكرية واجتماعية واقتصادية ونحو ذلك، غير أن التربيـة لمـا كانـت بمثابـة الرعايـة الحسـية والمعنوية وبالتدرج نسبت إلى هذا الأمر، وسُمِّيَ الرب ربًا؛ لأنه ربَّى عباده تربية حسية ومعنوية في

الإعداد والإمداد شيئًا فشيئًا، بالتوفيق للعلم والعمل والهمة والحال[42].

ولأن التربية المرادة هنا هي تربية مستقلة بذاتها لها خصوصياتها، فإنها مهمة عسيرة لا كما قد يتوهم البعض، بل هي إنشاء جيل جديد إنشاء فكريًا وخلقيًا وسلوكيًا وتعبديًا متوافقًا مع هدي الله بامتياز[43].

وكل الأنبياء كانت مهمتهم ابتداء تربوية قائمة على أمرين: تخلية وتحلية، وتخلي الناس عن الموروث الديني والأخلاقي ونحوهما مما اعتادوا عليه وكبر عليه الصغير وهرم الكبير، من الصعوبة والعسر بمكان تغييره. فكان تغيير الأنبياء -عليهم السلام- ابتداء بالتوحيد وانتهاء بالأخلاق عموما، وفيه معاناة وصعوبة وجهد كبير.

مثالٌ على ذلك: كما حصل من أتباع موسى لما طلب منهم أن يدخلوا بيت المقدس لفتحها كما قال الله: {يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١}[المائدة:21]. فقالوا كما قال الله: {قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢} [المائدة:22].

فتمَّ الرفض منهم؛ حتى يخرج القوم منها! وهل المحتل والمغتصب يخرج بدون مقاومته! فقد تعودوا على عدم التحرر من العبودية لاستمرائهم لها. فما أبأس لبن العبودية! وما أتعب تغيير طبعها! فلا معجزات موسى -عليه السلام- ولا قهر فرعون وظلمه لهم كافيان في تحررهم من العبودية، وصدقت تلك المقولة: "لو أن السماء أمطرت حرية لاشترى المستعبدون مظلات لتحميهم منها!". فالمُسْتَبِد، يحرم الناس من الحرية في التلقي والتفكير والعمل إلا ما يتحركون به إلى المزارع لتزويد الأسواق وتحريك السوق وما يحتاجه الناس لِقُوتِهم، وما يشبعون به فروجوهم وبطونهم. سياسته فيهم كما قال الله عن فرعون: {قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩}[غافر:29]. والاستبداد هو عقوبة الله التي يصفع بها رقاب الآبقين من جنَّة عبوديَّته -التي هي الحرية الحقيقية- إلى جهنم[44]؛ لأن الناس ستكون على دين ملوكها، وملوكها لمَّا يكونوا بعيدين عن شرع ربهم فالعاقبة جهنم عياذًا بالله.

ولذا فقد تعب موسى وهارون -عليهما السلام- في محاولة انتشالهم من مستنقع العبودية غير أن الكثير منهم لم تزل تلك الرواسب التربوية الفرعونية عالقة في سويداء قلوبهم وعقولهم، وقال موسى في نهاية الحملة التحررية: {قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥} [المائدة:25]. وهذا يظهر مدى الجهد والعسر الذي بلغ بموسى وهارون -عليهما السلام- فحكم الله قدرًا أن من تربَّى على الذل، وشرب لبن العبودية، واستظل بظل المهانة، فإن استبداله بجيل آخر هو أنسب الطرق لقيادة جيل جديد يقود عملية التحرر من المعتدين والمحتلين. فوقاية الأمة من داء العبودية لغير الله، أسهل من رفعها عنهم؛ لأن المعلوم عند العقلاء عمومًا أن "الدفع أسهل من الرفع"[45].

وهكذا كل الأنبياء كانت مهمتهم التربوية شاقة وعسيرة؛ لأنها عملية تخلية من مخلفات وموروثات عقدية ورواسب جاهلية استسقوها من بيئاتهم أو أساطير الأولين، أو ملوكهم البعيدين عن شرع الله. فكان من الصعوبة التخلي عن ذلك بسهولة. فهي عملية فكفكة للباطل، ويقود ذلك الباطل ويحميه الملاء، وعسر التغيير بعسر حامله وحاميه. ثمَّ ينتقلون إلى مرحلة التحلية وهي عملية تركيبية تدريجية، وذلك يستلزم جهدًا كبيرًا وعسرًا عظيمًا؛ لما تحتاجه من الوقت وتهيئة الحال ومراعاة المكان والسن والمآل. وأدلة ذلك عنهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

6- العسر السياسي: وهذا العسر كان بارزًا في طلب بني إسرائيل الذين لم يذكر الله اسم نبيهم في سورة البقرة؛-لأن الأصل العبرة-عندما طلبوا قيادة سياسية عسكرية تجمعهم على رأي واحد وغاية محددة؛ لاسترداد أرضهم والثأر لقتلاهم، وإعادة كرامتهم المسلوبة، فقد استوعبوا بنص الآية أن الكرامة لا تُوهَبُ، والحُرّيةُ لا تُعْطَى، وخاصةً في زمن تَبَدُّلِ القيم وتَصدر من لا يعرف أهمية أن يعيش الفرد بكامل كرامته وتمام حريته، فهما يؤخذان بثمن باهض، وما يُدْفَعُ ثمنًا للذل، أضعاف أضعاف ما يدفع لأجل الكرامة والحرية. فالإسلام يأبى أن يعيش معتنقوه دون أن يملكوا أصل المقوم الإنساني وهي حرية التفكير والإرادة والاختيار، فإذا كان يأباها للكافرين فكيف سيرضاها للمسلمين!؛ لأنه القائل: {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦} [البقرة:256]؛ فها هم بنو إسرائيل ذكر الله عنهم أنهم عرفوا كيف يمكن أن تحفظ لهم ضرورياتهم، بدليل إقرار الله لهم على طلبهم ولم يرد عليهم، بل اشترط عليهم شروطًا، والشرط لا يكون إلا بعد الثبوت والتسليم بما يُشْترط له كما قال الله: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦} [البقرة:246]. غير أنهم تنكبوا وتقهقروا كعادتهم، ولم يبق منهم إلا القليل. وبين القرآن أنهم أدركوا أن الكرامة والحرية حقٌ، والحق لا يمكن أن يوهب في زمن منطق البقاء للأقوى إلا بمنطق حق القوة، ولا أن يحمى إلا بها؛ ولذلك قرن الله الكتاب الناطق بالسيف القاطع في القرآن الكريم؛ لأنهما إذا افترقا حصل العبث بالحقوق والواجبات للراعي والرعية، فالكتاب وحده لا يكفي لتحكيمه في الواقع، كما أن السيف وحده لا يكفي لإقامة العدل؛ لأن القوة بدون ترشيد الكتاب الناطق فسيبلغ الظلم مداه[46]. فكان طلبهم أن تكون لهم قيادة سياسية دينية؛ بدليل قولهم: في سبيل الله. قال الله موضحًا هذا المعنى الجامع للأمرين: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ

لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾} [الحديد:25].

المبحث الثاني: وسائل التعامل بين الأصالة والمعاصرة والثابت والمتغير.

إن الرسل-عليهم الصلاة والسلام-جاءوا بشريعة تتلاءم مع زمنهم حاجة ومواكبة في كل جوانبهم، باستثناء شريعة نبينا-ﷺ-في باب العموم وكثير من الأحكام والتخفيفات، فهي شريعة عامة شاملة للمكان والزمان والإنسان، فالعموم المكاني والإنساني مستمد من قول الله: {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء:107]. وعمومها الزماني مستمد من قول الله: { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾} [الأحزاب:40]. وشمولها العمراني والحضاري مستمد من قول الله: { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [النحل:89]. وهذه المعاني هي التي جعلتها قابلة للصلاح والإصلاح.

ولذلك تَعَامُلُ الأنبياء مع أقوامهم في كل الأحوال ومنها زمن العسر الذي من الضروري دراسته؛ لكونهم معصومين، وفيما دون ذلك مما يسع فيه الاجتهاد من الوسائل القابلة للتغيير، هم أكمل الناس عقلًا وحكمة وتدبيرًا، ومن ثمَّ تستلهم الدروس والوسائل في هذا الباب على ضوء تعاملهم-عليهم الصلاة والسلام.[47] فإنهم كانوا يجمعون في حلولهم لقضاياهم بين الأصالة، المتمثلة بالمحافظة على إرثهم التوحيدي والديني، كالإيمان بالقدر مثلًا، وعدم استخدام أي وسيلة تتنافى مع التوحيد الذي تناقله الأنبياء، مستندين لأصالتهم بقول الله: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾}[النحل:36]. و(الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد)[48]. فأمهاتهم شتى، دليل للمعاصرة، وذلك أن كل نبي في عصر يخصه له ملابساته وبيئته، وكيفية التعامل مع أهله في زمن العسر وغيره. وأبوهم واحد، دليل على الأصالة والمحافظة على التوحيد. والمعاصرة التي تتناسب مع حال قومهم وزمانهم وأشخاصهم دليلها قول الله: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴿٤٨﴾} [المائدة:48]. [49].

فالأنبياء عمومًا-عليهم السلام-كان منهجهم في التعامل يسير عند مواجهة قومهم بين الأصالة والمعاصرة والثابت والمتغير، فقد كان الثابت عندهم الدعوة إلى التوحيد من حيث الأصل، غير أنهم كانوا يتفننون في دعوة أقوامهم من حيث نوعية الخطاب، ونوعية الوسائل، وكانت تلك الوسائل تخضع لمراعاة أحوال الناس مجموعين ومفرقين، وهذا يقتضي تغيير الوسائل في الخطاب والوقت والنوع، ولذا كان هناك أناسٌ يناسبهم

الدعوة ليلًا وآخرين نهارًا كما قال الله عن نوح-عليه السلام-:{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾} [نوح:5]. وذكر أن هناك أقوامًا يناسبهم السر، وآخرين الجهر: { ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾} [نوح:9].

وقال عن إبراهيم-عليه السلام-: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾} [الأنعام:76]. فاختار الليل لقوم يناسبهم ذلك، وهذه وسيلة متغيرة من حيث الوقت، ومن حيث نوع الدليل والخطاب المُثْبِت لما يريده إبراهيم من قومه، والصحيح أنه في ذلك كان مناظرًا لا ناظرًا؛ لأن الله قال عنه: { وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾} [الأنعام:75]. (50). فقال: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾} [الأنعام:76]. إلى آخر مناظرته كما في سورة الأنعام، حيث كان الحوار عنوانه ثابت وأصيل وهو إثبات الربوبية لله وحده، ونوَّع الأدلة، والطريقة، والوقت، وهذا من باب المعاصرة والمتغير. بينما تجده في مقام آخر، نوع الخطاب والوقت والفعل كما تحدث الله عنه أن تحاور مع قومه عندما دعوه إلى الخروج معهم لعيدهم فاعتذر بسقمه قال الله عن نوعية الخطاب: {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾} [الصافات:87]. ثمَّ بعد حوار معهم قال معتذرًا؛ لينفذ خطته المناسبة للتغيير: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾} [الصافات:89]. ثمَّ مال إلى آلهتهم فحطمها: { فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾} [الصافات:93]. وفي مقام آخر كذلك نوع الخطاب كوسيلة قابلة لمعاصرة قومه وحالهم في الدعوة إلى توحيد الله بذكر آلاء الله في خلقه وهدايته ونفعه أو ضره: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾} [الشعراء:80].

7- وهكذا شعيب-عليه السلام-فمن خلال تتبع سيرته مع قومه كان يستخدم وسائل تعامله معهم في مرحلة عسره بين الثابت والمتغير والأصيل والمعاصر، فقد استخدم الأصيل والثابت بدعوتهم إلى التوحيد كما قال الله: {۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴿٨٤﴾} [هود:84]. وقال وهو يتعامل معهم من حيث المعاصرة في الحال والخطاب، فقال فيهما: { وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾} [هود:85]. فحالهم كان بالتطفيف والبخس في تجارتهم، فأمرهم ونهاهم وتلطف بدعوتهم بلفظ: يا قوم. ونوَّع خطابهم كونه وسيلة قابلة للتغيير بقوله: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾} [هود:85]. وقال: {إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾} [هود:84]. فهذا خطاب فيه ترغيب وترهيب وقال: {بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾} [هود:86]. فتغيرت نوعية خطاباته؛ نظرًا لتغير الحال ومناسبة المقال. وفي النهاية في نهاية مرحلة

العسر أغلظ في الخطاب وهدد: {وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾} [هود:93].

8- وهكذا نبينا -صلى الله عليه وسلم- كان فِقهُ وسائلِ التعامل معاصرة وأصالة ومتغير وثابت حاضرًا من خلال تعامله مع قومه زمن العسر في القرآن بناء على توجيهاته، فأصالة وثبات الدعوة إلى المحكمات كان لا يساوم في ذلك، ومن ذلك كمثال: موالاة الأعداء لدينهم ضد المسلمين، وهذه مرحلة عسيرة وحالة حرجة بالنسبة له، وكان يشدد في التحذير من الوقوع في هذا الأمر حتى مجرد صفة يتَّسم بها من يقرب ممن يوالي الأعداء كالمنافقين، وموقفه مع الذين تخلفوا[51]واضح في هجرهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. والقرآن الكريم عندما يحذر من موالاة الأعداء يُعرِّض بالمنافقين وكأنها صفة من صفاتهم كما قال الله عن فعلتهم النكراء وتبييتهم نية خبيثة بالتنسيق مع أبي عامر وكان مشركًا ولم يستجب لدعوة الرسول وفرَّ إلى الشام[52]: {وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾} [التوبة:107]. وقال الله أيضًا بعد أن نهى عن مولاة الكافرين وأن من تولاهم لدينهم فهو منهم أخذ يشير إلى هذا الصنف بقوله: {فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾} [المائدة:52]. وهذا كان موقفًا ثابتا وأصيلًا في تحذيره- صلى الله عليه وسلم-منه، غير أنه كان يغاير سائل التعامل مع هذا الصنف الذي وقع في هذا المزلق الخطير والزلة الكبيرة؛ كونها قابلة لمراعاة الحال والمعاصرة فتارة يعفو عنهم فيلومه الله بقوله: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾}[التوبة:43]. وتارة يشير إلى بعض صفاتهم كقوله:(أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر)[53]. وتارة يترك قتلهم لعلة: (لئلا يقول الناس إن محمدًا يقتل أصحابه)[54]. وتارة قبول أعذارهم وترك أمرهم إلى الله: {يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾} [التوبة:94]. وتارة يقبل منهم الظاهر. وتارة يغاير في الخطاب في التحذير من ذلك بالنظر إلى أن المآل مشاركة الكافرين في دينهم ويلزم منه معاونتهم كما قال:(أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». قالوا: يا رسول الله، ولم؟ قال: (لا تراءى ناراهما)[55]. وهذا فيه شدة في التحذير من مقاربة السكن مع الكفار دون مصلحة ترتجى؛ لأن المآل ما ذُكِرَ[56]. وهكذا كانت وسائل التعامل، ثبات في الثابت، ومتغير في ماعدا ذلك، ووسائل تعامل الأنبياء في ذلك كان بارزا في معالمه عند التتبع لطريقة تعاملهم،

وجمعهم بين الثابت والمتغير والأصيل والمعاصر، وذلك بحسب الحال والزمان والمكان والمآل والإنسان.

المبحث الثالث: موجبات تغيير الوسائل في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم.

بعد أن بينا في المبحث السابق وسائل تعاملهم وأنهم كانوا يتعاملون بناء على وضع الثابت والمتغير والأصيل والمعاصر في مكانه حالًا وزمانًا ومكانًا وأشخاصًا، وخضع هذا التعامل لذلك؛ نظرًا لموجبات التغيرات في واقع قومهم وواقعهم هم أيضًا في حالة العسر، وبناء على ذلك فإن الأسباب الموجبة لتغيير الوسائل لهذا التعامل إجمالًا بالآتي:

أولا: حالة الضعف.

نبينا-ﷺ-كان في العهد المكي يتعرض لشتى أنواع الأذى ويمر مع أصحابه بعسرٍ متعدد الأنواع، وكانوا يتعاملون مع قومهم بالهجرة تارة، وبالصفح والعفو وكفِّ الأيدي تارة أخرى، كما قال الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٧٧﴾} [النساء:77]. فهذا التعامل فرضه عليهم زمن الضعف، وعند أن صارت لهم دولة في المدينة أُمروا بالجهاد لدفع الاعتداء[57]، ورفع الأذى عن أنفسهم وعن المستضعفين من إخوانهم.

ثانيًا: نزول الوحي وتوقفه، أو زيادة العلم وقلته.

فيعقوب-عليه السلام -في بلائه وعسره الشديد بفقد يوسف ابنه-عليه السلام-أحب أبنائه إليه، قال في موقف العسر الأول: {وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [يوسف:18]. ففي هذا الموقف صبَّر نفسه، واعتمد على ربه في مواجهة ذلك الموقف الجلل على قلبه.

وعندما تركوا أخاهم الآخر عند يوسف-عليه السلام-بسبب تلك الحيلة التي فعلها يوسف-عليه السلام-ولم يكاشفهم بحاله وأمرهم بجلب أبيهم يومئذٍ: إمّا لأنه خشي إن هو تركهم إلى اختيارهم أن يكيدوا لبنيامين-أخي يوسف الأصغر-، فيزعموا أنهم يرجعون جميعًا إلى أبيهم، فإذا انفردوا ببنيامين أهلكوه في الطريق، وإما لأنه قد كان بين القبط وبين الكنعانيين في تلك المدة عداوة، فخاف إن هو جلَب عَشيرته إلى مصر أن تتطرق إليه وإليهم ظنون السوء من ملك مصر؛ فتريّث إلى أن يجد فرصة لذلك"[58]. وإما لغير ذلك[59]. فقال لهم: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾} [يوسف:83]. فكان تعامله آخر كجانب معنوي غير الموقف الأول؛ لزيادة علم إما من الله كوحي وإما لعلمه من سنة الله الجارية في أوليائه أنه لن يخذلهم و"لقد وقع في نفس يعقوب-عليه السلام-أن محنته في بنيه-يوسف، وأخيه، وكبير أبنائه-قاربت أن تزول، وأن بوارق الأمل أخذت تلوح له في الأفق، وأن إيمانه بربّه ورجاءه

في رحمته لن يخذلاه أبدا، ولن يسلماه إلا إلى السلامة والعافية"[60].

ونبينا –صلى الله عليه وسلم– في حادثة الإفك الحادثة العسيرة عليه وعلى أهله وأصحابه، كان يتعامل مع الحادثة بأصالة وثبات المنهج بحسب تعليمات الوحي السابق، بالصبر والرضى بالبلاء والإيمان بالقدر، ويتعامل بالمعاصرة والمتغير من الوسائل بحسب ما ينسجم مع الحدث. فاستشار بعض أصحابه من النساء والرجال، فالاستشارة أصل وثابت كتأصيل شرعي نظري، ومن يُشاوَر وزمن المشاورة وهدف المشاورة، معاصرة ومتغير، فجمع النبي –صلى الله عليه وسلم– بينهما. وكان له موقف قبل الوحي في هذه العسر الشديد، فكان عند أن يدخل عليها يقول: (كيف تيكم ثم ينصرف) وقال لها: (أما بعد يا عائشة، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه) فكان له وسيلة في التعامل قبل نزول الوحي، وبعد نزوله كان له تعامل، فقال لها وهو يبتسم: (يا عائشة لقد برأك الله)[61].

ثالثا: مراعاة طبيعة النفس البشرية في أنْ تُعامل بالتدرج في العلم والعمل لئلا تنفر.

عند التأمل في سيرة نبينا محمد –ﷺ– يُرى أنه استمر في الدعوة المكية ثلاثة عشر عامًا يؤسس جيل التمكين، وتحمَّل معهم شتى صنوف الأذى، وأنواع سبل العسر، غير أنه لم يؤمر بالجهاد إلا في السنة الثانية للهجرة؛ وما ذاك إلا مراعاة لطبيعة النفس البشرية والتدرج معها الأدنى فالأدنى، نظرًا لطبيعة النفس البشرية، فكانت أحكامها قابلة للتغيير تقديمًا وتأخيرًا وتدرجًا بناء على ذلك.

–**ومن ذلك**: التدرج في تحريم الخمر كجانب علمي ومن ثمَّ عملي، فقوم صارت الخمر جزأ لا يتجزأ من حياتهم، بل كان الشراب المفضل عندهم، كما قيل عنها: "ولما كانت الأمم الخالية والقرون الماضية في سالف الأزمان والدهور، على ممر الأيام والعصور، تعرف فضيلة الخمر بعينها ومزيتها على سائر المشروبات، وصنوف الأنبذة المتخذات، فلا يجاوزها من وجدها منهم فيتعداها إلى ما لذ طعمه... على أن أممًا لا يتمُّ قربان يتقربون به إلى معبودهم إلا بها"[62].

فقوله: إن أممًا لا يمكن إذا أرادوا أن يتقربوا إلى معبودهم، لا يتمُّ إلا بعد شربها! يدل على أنها عندهم ضارعت طقوسًا دينية لديهم! فقومٌ بهذه النفسية في تدينهم لشرب الخمر لا شك أن عزوفهم عنها، وتجنبهم إياها، سيشكل عسرًا كبيرًا لدى محاربيها، ولذلك كان النبي –ﷺ– يعاني عسرًا في التعامل مع متعاطيها حتى بعد الإسلام؛ ولذلك فالشارع عند تحريمها راعى هذا الجانب، فلم يحرمها تحريما أوليًا، وإنما تدرج في التحريم؛ مراعاة لعسر تقبل ذلك، وصعوبة الإقناع بتحريمها من جانب آخر[63].

فأول آية نزلت في التدرج في التحريم قوله: { ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾} [البقرة:219]. ثمَّ قوله: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ ﴿٤٣﴾} [النساء:43]. ثمَّ التحريم القطعي بقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾} [المائدة:90][64].

-ومن ذلك: موسى-عليه السلام-كان مأمورًا ابتداء أن ينقل بني إسرائيل من تحت سطوة سوط فرعون كما قال الله{أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾} [الشعراء:17]. ثمَّ أمرهم بالصبر والتحمل على أذى فرعون: { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾} [الأعراف:128]. ثمَّ في نهاية الأمر أمرهم بدخول بيت المقدس[65]. فكل هذه المراحل العسيرة وهو يتعامل معهم بالثابت والأصالة، بأمرهم بالصبر والاستعانة بالله والهجر القلبي بالبغض والبراءة من فرعون وعمله كأصالة. والمتغير والمعاصرة، وذلك بالهجرة والفرار من فرعون وتحديد وقت الهجرة والوجهة: { وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾} [الشعراء:52]. أمرهم بدخول الأرض المقدسة فرفضوا، وهذه وسائل كانت قابلة للتغير في زمن العسر المتعاقب بحسب وحي الله له.

رابعًا: ترتيب الأعمال بسبب اختلاف الأحوال.

فأصل الدعوة من الثوابت، ووسيلة إبلاغها نظرًا لاختلاف مواضعها وأحوال المخاطبين بها وزمان إلقائها باستخدام الوسائل الحسية والمعنوية متغير، وأصل المناظرة للآخر من الثوابت والأصالة، ووقتها ووسائلها ومفردات عناوينها وجدواها ومواضعها متغير ومعاصر. فموسى-عليه السلام-حاور فرعون وناظره، وحدد عنوان المناظرة بنفسه وإن كان فرعون يتصادر[66] عن أصل الرد والحوار، كما قال الله: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾} [الشعراء:23]. وهذا سؤال من فرعون سؤال العارف المتجاهل، لأن الله قال عنه: { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾} [الإسراء:102]. أو سؤال معاند؛ لأنه سأل عن ماهية[67] الرب -سبحانه-فقال له موسى-عليه السلام-مجيبًا عمًا يخصه مبطلًا ادعائه للربوبية التي تقتضي أن الخالق للسموات والأرض والمشرق والمغرب هو الله، وفرعون ليس كذلك، فموضع النقاش هو ما هي صفات الرب الذي يستحق العبادة؟ فقال له كما قال الله: { قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾} [الشعراء:24]. { قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾} [الشعراء:26]. {قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ } [الشعراء:28]. فكانت مضامينه عند موسى-عليه السلام-تتمحور حول هذه القضية وهذا من الأصالة والحفاظ على الثوابت. ومن المتغير والمعاصرة التي استخدمها موسى في مراحل العسر هذه هي: عنوان الحوار، ووقت

الحوار، وطريقة الحوار. ووجه العسر في هذه المراحل واضحة، إذ إنهما –موسى وهارون– سيقابلان وقابلا من ادَّعى الربوبية وقتل لأجل بقائه على دعواه وكرسيه آلاف الأطفال، وكان الحوار يستهدف جميع ما كان يخاف منه من وجهة نظره. ولذا أول ما خاطب الله موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون كان ردهما يعبر عن حالتهما: {قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾} [طه:45]. فالوقوف أمام أمثال هؤلاء الطغاة ومعرفة إرثهم الأسود وتاريخهم الخبيث، كافي في حصول العسر لدى موسى–عليه السلام –، فكيف عند أن يناقشه في ما مآله هو زواله!.

– **ومن ذلك:** محاورة إبراهيم–عليه السلام– مع أبيه وقومه وبقية الطغاة في زمانه، فكان يُفَعِّلُ هذه الوسيلة كأصل وثابت في تلك المرحلة العسيرة؛ كونه كان مهددًا بالرجم والطرد ومن ثمَّ الإحراق لولا إرادة الله الغالبة، وكان يغير في أساليب وطرق وعناوين الحوار معاصرًا لوقته في ذلك كما هو معلوم.

– **ومن ذلك:** شعيب–عليه السلام–في محاورته لقومه، فبدأ بالأصالة والثابت الذي ينبني عليه صحت تصرفاتهم وشرعيته كما قال الله: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾} [هود:84]. فهذه كلها ثوابت وأصالة من حيث الأمر والنهي. ونصحه لهم في معالجة مرضهم وترك أخطائهم، معاصرة لواقعهم ومعالجة لدائهم، وحواره معهم وتهديدهم بهلاكهم كأسلافهم بتحديد حتى مَنْ هم الذين أهلكوا، متغيرٌ، كما قال الله عنه: {وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾} [هود:89].

خامسًا: ثبات في الدعوة إلى المحكمات، ومتغير في وسائل الدعوة إلى الثبات.

الثبات على الدين والمبادئ من الثوابت، ووسائل وأدوات الثبات متغير، فالدعوة إلى إثبات وجود الله–وخاصة في زمن الإلحاد–وتوحيد الله من الثوابت، ووسائل تقرير ذلك وبذل الجهد واستخدام الوسائل العصرية في ظل الاكتشافات للعلوم التجريبية متغير. وكل هذا كتأسيس الثوابت في زمن نفيها أو التشكيك بها، أضف مواجهة منكريها، والتفعيل والبحث عن وسائل لتقريرها متعسرٌ، فهذا يحتاج إلى النظر في منهج الأنبياء في تعاملهم مع أقوامهم في زمن العسر؛ لتكون منارًا وإضاءات يستنير بها من سلك ويسلك دربهم.

– فتوحيد الله ثابتٌ عند إبراهيم–عليه السلام–وطريقة تقرير إثبات هذا الثابت، فإنه استخدم وسائل عدة، تارة بذكر آلاء الرب– سبحانه–: {ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾} [الشعراء:80]. وتارة بالمناظرة كما في سورة الأنعام. وتارة بالفعل كما كسَّر الأصنام.

وهذا الثابت–ملة إبراهيم التوحيدية–فمن كان صادقًا في دعواته المتكررة في سورة الفاتحة في اليوم أكثر من سبعة عشر مرة أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو صراط المُنْعَم عليهم أول القائمة لهؤلاء هم الأنبياء[68] كما قال الله: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾} [النساء:69]. والصراط المستقيم أساسه الحنيفية ملة إبراهيم–عليه السلام –كما قال الله: {قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾} [الأنعام:161]. والذي أُمِرَ –أمر إيجاب–من هو خيرٌ منَّا باتباعه وهو محمد–صلى الله عليه وسلم–كما قال الله: { ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾} [النحل:123]. وهذه الملة أساسها كما هو موضح في سورة الفاتحة هي المغايرة جملة وتفصيلًا كما هو صريح الآية لصراط المغضوب عليهم–اليهود–والضالين–النصارى[69]– هي البراءة منهم ومن معبوداتهم ومناهجهم، وكل ما يتعلق بهم من أعمال وأقوال ومعتقدات مما يناقض هذه الملة، أو ينقصها، قال الله: {قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴿٤﴾} [الممتحنة:4].

والدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم وفرضية ذلك وتكراره، يدل دلالة واضحة على أن الثبات عليه عسير؛ لكثرة بنيات الطريق، والشبهات والشهوات الخاطفة، وكذا دعوة الغير إليه من العسر بمكان.

– والثابت–أيضًا–في هذا الباب فيما يتعلق بنظام التوحيد، هو أن الولاء للكافرين لدينهم هو الثابت كمكفر لمن فعله –بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع–، بينما الولاء للكافرين لمصلحة أو لقرابة ونحوه، فهو من المتغير القابل لاختلاف الأنظار، كاختلاف العلماء في قضية حاطب بن أبي بلعته[70]–ﷺ–وما جرى مجراها، ففي تلك الفترة العسيرة التي مرَّ بها النبي–ﷺ–وهكذا حاطب–ﷺ–لجأ حاطب لأن تكون له يدٌ عند قريش لوجود قرابة له هناك.

قال ابن تيمية[71]–رحمه الله–: "وقد تحصل للرجل مودتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرا، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لمَّا كاتب المشركين ببعض أخبار النبي–ﷺ–وأنزل الله فيه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾} [الممتحنة:1].

– وكما حصل لسعد بن عبادة[72]–ﷺ–لما انتصر لابن أُبي[73] في قصة الإفك. فقال: لسعد بن معاذ: كذبت والله؛ لا تقتله ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة[74]: وكان قبل ذلك رجلا صالحا"[75]. فالمرحلة عسيرة تقتضي حدوث ذلك منهم، وتدخل

النبي-ﷺ-في الاعتذار له، وذلك دليل أن المرحلة مرحلة عسر تقتضي ذلك كله، إذ لا يمكن أن يقعوا في ذلك في زمن اليسر والسعة؛ ولذا لزم بيان فيما هو ثابت ومتغير في هذا الباب.

سادسًا: في حالة التعارض عند العمل والتطبيق يُفعَّلُ فقه الأولويات كفقه مرحلي.

وفقه الأوليات[76] في مرحلة العسر من-حيث التأصيل-ثابت، بينما تنزيله في الواقع كتطبيق وكمفرد فقهي أو عقدي أو نحوهما متغير ومعاصر. والمبادئ والقيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشريعة، وليست كلها في مرتبة واحدة، فمنها الأصول ومنها الفروع، ومنها الأركان ومنها الواجبات ومنها المكملات، ومنها الأعلى ومنها الأدنى، ومنها الواجب ومنها الأوجب، وكل ذلك يرجع إلى الفقه بأمرين:

- الفقه بمراتب الأعمال والأحكام.
- الفقه بالواقع.

وهذا علمٌ لم يغفل عنه الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-خاصة في مرحلة العسر، ولأن ترتيبها في تلك الحالة قد تكون ضرورة؛ ولأنه معلوم قبل ورود الشرع عقلًا، فكيف بعد ورود الشرع وهم المبلغون له! والأصل في ذلك قول الله: { ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾} [التوبة:19]. فمن الأدلة على ذلك:

- فنبينا-ﷺ-في صلح الحديبية أصحابه منعهم المشركون من العمرة، حتى بلغ بهم الحزن والكآبة في تلك المرحلة العسيرة أن تأخروا في تنفيذ أمره، لمَّا أمرهم أن يذبحوا الهدي، فغلَّب المصلحة الأساسية والمستقبلية العظمى-كون المسألة من باب المتغير ومراعاة عصره ووقته-على المصالح والاعتبارات الشكلية، فقد قَبِلَ من الشروط ما قد يُظَنُّ أن فيها إجحافًا وعدم رويَّةٍ، فقد رضي بحذف البسملة واسمه-ﷺ-فجاء القرآن وأيَّد رؤيته الأولوية العظمى وسمّاه فتحًا مبينًا[77] بقوله: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾} [الفتح:1].

- **ومن ذلك:** موسى-عليه السلام-لمَّا ذهب لمناجاة الله الذي وعده ربه، كما قال سبحانه: { ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾} [الأعراف:142]. فصريح الآية الكريمة أنه استخلف أخاه هارون-عليه السلام -، وفي فترة غيابه فُتِنَ قومه بعبادة العجل، وهذا انحراف كبيرٌ في باب العقيدة، ولما رجع موسى-عليه السلام-غضب وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ولحيته؛ لأن تلك المرحلة عسيرة جدًا بالنسبة لموسى-عليه السلام-وقال لأخيه: {أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾} [طه:93]. فلك أن تتخيل هذا الإنكار من موسى لأخيه، ولم يتمالك نفسه غيرة لله جل وعلا: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ ﴿١٥٠﴾} [الأعراف:150]. فرد عليه: {قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾} [الأعراف:150]. ثمَّ أخذ يبين له أنه كان لديه نظرة أخرى راعاها وهي فقه الأولويات في الإنكار

وجـــدواه ومآلـــه: {إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾} [طه:94]. يستفاد من ذلك أنه غلَّب فقه السكوت على الإنكار كترتيب أولوي مرحلي؛ كونه متغيرًا ومراعيًا لعصر تفعيل مثل هذا الفقه مع أنه عسير، لكن الفقه الأولوي كان حاضرًا لدى هارون-عليه السلام-. ولا يفهم من ذلك أنه لم ينكر لأنه قد قال لهم كما قال الله: {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ﴿٩٠﴾} [طـــه:90]. غير أنهم عاندوا واستمروا بل وهمَّوا بقتله؛ مما اضطر هـارون-عليـه السـلام-أن يُفَعِّـلَ فقـه التنزيـل-الأولـوي، مراعيًـا فـي هـذه المرحلـة الحرجـة فقـه المتغير والمعاصرة، وذلك بالحفاظ على الجماعة؛ خشية تفرقها حتى يأتي أخوه ليتفاهما كيف يتمَّ التغيير، وقبِل عذر أخيه وتأصيله، بدليل سكوته ودعائه لنفسه وأخيه كما قال الله: { قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾} [الأعـراف:151]. يقول ابـن عاشـور[78] -رحمـه الله-: "وهـذا اجتهـاد منـه فـي سياسـة الأمـة إذ تعارضت عنده مصلحتان، مصلحة حفظ العقيدة ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج، وفي أثنائها حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة فرجح الثانية، وإنما رجحها؛ لأنه رآها أدوم، فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل؛ حيث غَيَّوا عكوفهم على العجل برجوع موسى، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا انثلمت عُسُرَ تداركها"[79]. مع أنه-رحمه الله-رجَّح خلاف ذلك في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"[80]. مبينًا أن رأي هارون كان مرجوحًا، وهذا فيه نظر؛ لما سبق بيانه وهو أن موسى-عليه السلام-تراجع لرأي أخيه بدليل سكوت القرآن، ودعائه له، ولأن الأمر المطلق يفيد الوجوب مالم يكن هناك مانع، والمانع هنا خشية الفرقة، ومن فعل ذلك لم يكن عاصيًا[81]، ولذلك ندم موسى-عليه السلام-على فعله بدليل دعائه لأخيه[82].

- **ومن ذلك:** ترك النبي-صلى الله عليه وسلم-قتل المنافقين؛ لعلل شتى، ومنها "لئلا يقول الناس إن محمدًا يقتل أصحابه"[83]. فهذا ترتيب أولوي في العمل كجانب دعوي وسياسي. راعى بين الأصالة كمبدأ وبين المعاصرة كحال.

سابعًا: تعارض مصالح الدنيا مع مصالح الآخرة في زمن العسر من خلال تعاملهم مع أقوامهم.

قبل الشروع في ذكر بعض النماذج على ذلك سنعرف فقه المصالح والمفاسد تعريفًا مركبًا، وفقه المآل كذلك، ولن نتعرض لتعريفهما تعريفًا مفردًا؛ لأن بحثهما أصوليًا بحت، وبحثهما هنا عرضًا لا قصدًا، وحتى يتميز الفقهان، ويتضح ما سيأتي ذكره من المثال. وهما علمان بينهما وجه ارتباط وثيق، فلا فقه مآل دون فقه المصلحة والمفسدة. فيقال في فقه المصالح والمفاسد هو: علم يعتني بدراسة الأحكام أو أعمال المكلف من حيث ما تجلبه من نفع أو تدرأ من ضرر. فهذا العلم يدرس

الأعمال أو الأحكام في الحال، ويبدأ الفقيه بالموازنة بين المصالح والمفاسد ويرجح بناء على فهمه للنصوص وحال وزمان ومكان المكلف. وبالنظر إلى مقاصد الشريعة، لا مقاصد النفوس لأن" المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس... وأن وضع الشريعة إذا سُلِّمَ أنها لمصالح العباد، فهي عائدة عليهم بحسب أمر الشارع، وعلى الحد الذي حده، لا على مقتضى أهوائهم وشهواتهم، ولذا كانت التكاليف الشرعية ثقيلة على النفوس"[84]. وأمَّا فقه المآل فيقال: هو فهم نتائج الحكم قبل فعله، والحكم عليه حلًا أو حرمة بناء عليه. وقد عرفه بعضهم بتعريفات أخرى لكنها بحسب السياق الذي أراد بحثه[85]. وهذا التعريف يبين مدى أهمية هذا الفقه وقاية وعلاجًا، دفعًا ورفعًا، فالفعل أو الحكم قد يكون مباحًا أو واجبًا أو تسري عليه بقية الأحكام، غير أنه قد يمنع أو لا يمنع؛ بناء إلى النظر فيما يؤول إليه هذا القول أو الفعل أ ومصلحته أو مفسدته.

وعليه فإن هذه الفقرة وما بعدها قد نذكر الثابتين والأصلين كمتغير وقد يقدم ثابتٌ على آخر بحسب الأثر والأهمية والمصلحة المنصوصة في الشرع التي نصت على تقديمه، فيصير ذلك الثابت متغيرًا من حيث قبوله وتهيئته للتأخير أو التقديم لا أنه من باب المتغير المتعارف عليه الذي دليله ظني ورودًا أو دلالة، فليتنبه.

إن المسلم في مرحلة اليسر قد يكون أمامه عدة اختيارات عند الإقدام أو الإحجام لأمرٍ ما، ولا إشكال عنده في اختيار أحدها، غير أنه في مرحلة العسر عند تعارض مصالح الدنيا مع الآخرة، يكون موجبًا لاختيار الثابت والأصيل، فلا تجد صاحب الإيمان الصادق باليوم الآخر إلا مقدمًا الآجلة على العاجلة، والباقي على الفاني، والدائم على الزائل، والجنة على النار. ومن الأمثلة على ذلك:

-موقف السحرة كان واضحًا في نظرتهم الثاقبة المبنية على إيمانهم بالمعجزة التي رأوها، فقالوا بعد سماعهم من الطاغية أنه سيقطع أيديهم وأرجلهم، ويصلبنهم في جذوع النخل، ولا شك أن موسى داخل في هذا الوعيد؛ لكونه رأسًا في عملية الانقلاب المشؤوم-بنظرة فرعون-فإذا كان هذا التهديد لمن آمن به، فهو من باب أولى، فقالوا في هذه المرحلة العسيرة: {قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢} [طـــه:72]. فقد كان بالإمكان أن يداهنوه بموافقتهم على رأيه، مستخدمين وسيلة المصلحة العاجلة للحفاظ على أرواحهم، والمداهنة التي قد تعفيهم من العقوبة، لكنهم فضلوا وسيلة الثبات على الحق، مقدمين مصلحة الآخرة على الدنيا. وتبين بهذا أن المصالح المرتبطة بحفظ الضروري وعلى رأسه الدين، مقدمٌ على كل ضروري آخر؛ ولذا اختار موسى وقومه الإيمان على الكفر والعصيان؛ ولأن ذهاب الدين ذهاب لسعادة الأخرة.

فمتى كانت هذه النظرة في خلد المصلحين من أبناء هذه الأمة أمام من اتصف بالفرعونية–من الكافرين ومن نحا نحوهم–، فإن العاقبة الحسنة ستكون للصالحين، والسيئة لعدوهم؛ لأنه لا تنازلهم سيرد عنهم قدر الله المكتوب عليهم المكتوب عليهم أزلًا، ولا ثباتهم سيعجل نزول الأذى بهم، وأقصى ما قد يفعله الخلق بهم إن فعلوه، فهو تنفيذ إرادة الله فيهم بالزمان والمكان والكيف بل وجنس العقوبة المُعَيَّنةِ لك سلفًا؛ لأن المكتوب للعبد قدرٌ تفصيلي وليس إجماليًا، وجزئي وليس كليًا فقط.

وهذا العلم كان يتلقاه الصبيان في روضة التعليم الأولى، فقد جاء في الحديث عن نبينا–ﷺ– (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...)[86]. فمفهوم هذا المقطع من النص النبوي، يبين أن نوع وزمن ومكان الضرر إن نزل به فليس لأنهم اجتمعوا، وإنما لأن الله قد كتبه، وهكذا النفع، فمن كان هذا كله بيده، فهو أحق بالمراعاة من غيره! فما أعظم الإيمان بالقدر!.

- **ومن ذلك:** لما طلب المشركون من نبينا–صلى الله عليه وسلم–أن يأتي بكلام أو بقرآن غير الذي جاءهم به! سواء قالوه استهزاءً أو جادين بقولهم[87] وما قالوا إلا لما كفروا بالآخرة، وقدموا الدنيا عليها، بينما كان رد نبينا–صلى الله عليه وسلم–رد من يقدم الآخرة على الدنيا في هذه المرحلة العسيرة التي يُعْرَضُ عليه إما الاستجابة لطلبهم، وإما الكفر بالموجود–القرآن الذي لا يتوافق مع أهوائهم–وكلا الأمرين عسيرٌ عند من كان يكاد أن يقتل نفسه حسرة على عدم إيمانهم كما قال الله: { فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦} [الكهف:6]. أي قاتلٌ نفسك ومهلكها[88]. قال الله موضحًا هذا الحوار بينهما: {وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥} [يونس:15].

ففي بداية الآية يذكر من يقدمون الدنيا على الآخرة، بدليل أنهم لا يرجون لقاء الله، وفي آخر الآية يذكر حال من يقدم الآخرة على الدنيا، بدليل أنه يخاف إن عصا ربه عذاب يوم عظيم. فالنظر إلى الآخرة عند تعارضها مع الدنيا يجعل القرارات والاختيارات صائبة في مرحلة العسر وغيرها.

فكان التعامل في لحظة التعارض بين الدنيا والآخرة واحدٌ فقط، هو اختيار الأصيل والثابت؛ إذ لا مجال لتفعيل المتغير ومراعاة العصر في ذلك في مثل هذه الحالة؛ لكونه سيعود على الثابت بالنقض والإبطال.

ثامنًا: تغير الحال يفرض ضرورة إحياء وتفعيل فقه المصالح والمفاسد وفقه المآل.

إن هذا الفقه العظيم هو فقه الكبار من الراسخين في العلم، وخاصة في الشرعيات، وله أهمية بالغة في المتغيرات التي تحدث للأفراد والمجتمعات في كل وقت، وتَعُظم الحاجة إليه

زمن الضعف والعسر، وهنا يظهر الفقه ورسوخ النظر. قال ابن تيمية–رحمه الله–: "ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل من يعلم خير الخيرين وشر الشرين"[89]. وقد كان الأنبياء من أعظم الناس رسوخًا ونظرًا في تفعيل هذا الفقه في زمن الشدة والعسر.

- **فمن ذلك:** يوسف–عليه السلام–عندما تعارض معه السجن وفعل الفاحشة عياذا بالله فكلاهما شر، وتعارض عنده ثابتان إما فعل الفاحشة وهذه محرم، وإما تحمل السجن لأجل دينه وهذا ثابتٌ عنده؛ لكونه يحافظ على أصلٍ. لكن يوسف–عليه السلام–أعطى الأولوية للسجن، وهذا ما ينبغي أن يفعله المؤمن عند أن يتعارض معه الشهوة أو ملك زائل مقابل ذهاب دينه أو فساد عقيدته أو نقصان إيمانه يجب أن يكون شعاره: { قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ } [يوسف:33].

وعندما يقال: كلاهما شر في هذا السياق، أي: فالحال والمآل لهذا الشر عسر على يوسف–عليه السلام–لكن تفعيل فقه المصلحة والمفسدة كان سببًا في الاختيار الأسلم والأقل ضررًا وعسرًا.

- **ومن ذلك:** إقرار النبي–صلى الله عليه وسلم –لموقف عمير بن الحمام في بدر لمَّا قال له: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض؟ فقال: يا رسول الله عرضها السماوات والأرض؟ قال: (نعم)[90]...فقام وقاتل حتى قتل رضي الله عنه. ومنه: لما حض رسول الله عليه أولئك النفر في الدفاع عنه، لما أرهقه المشركون يوم أحد، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة)[91]. فهذان موقفان عسيران مرَّ بهما النبي–صلى الله عليه وسلم–وكان الفاصل في ذلك هو فقه المصالح والمفاسد، فالمصلحة تقول: البقاء للنفس مصلحة والدفاع عن الدين مصلحة وكلاهما ثابتان وأصلان، وعند التعارض في مثل هذه المرحلة العسيرة، إما بقاء المهج أو كسر قناة الدين وحماه وحمى المسلمين، فالنظرة الشريعة تقول: بتقديم ذلك على تلك. وهكذا ما فعله أولئك النفر الذين قتلوا الأول فالأول؛ دفاعًا عن نبينا–صلى الله عليه وسلم –وما حدث ذلك إلا تفعيلًا لهذا الفقه في مرحة العسر، وبرهان ذلك قول الله: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة:111]. فالتضحية بالنفس والمال مفسدة وعسرٌ بلا أدنى تردد وهما ثابتان كتنظير شرعي بالحفاظ عليهما، لكن قد يقدم هذا على هذا في حالات تعارضهما بقاءً، أو ذهاب بيضة الإسلام. وبعد تأمل هذه الآية وغيرها يتضح معنى قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات)[92]. ومعنى حفَّت أي: أحيطت، وكأن المكاره تحيط طريق الجنة من كل جانب، فالأمور التي تشق على النفس حينما يفعل الإنسان الخير أو يريد، لا بد من أن يتعداها[93]. والمكاره هي الأمور الشاقة والعسيرة، والأمر نِسْبِي، لكنه في النهاية فيه أصل

العسر، والعسر في المغالبة والمقارنة والمجاهدة والموازنة.

- **ومن ذلك:** أيضًا نبينا -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضوان الله عليهم- كانوا يذمُّون آلهة المشركين، وأنها لا تستحق العبادة لأنها أصنام لا تضر ولا تنفع، وهذا من وسائل الدعوة المتغيرة، لكنَّها عند المشركين سبٌّ لآلهتهم وتسفيه لأحلامهم، وتسفيه وفضح بطلان ألوهية الأصنام ثابتٌ لكن متى وكيف وما هي الطريقة! فهذا متغير، فاتخذ المشركون موقفًا سيئًا وهو سبُّ النبي -صلى الله عليه وسلم -والذي أمره أي: ربه، والرسول بين عسرين، السكوت عن آلهتهم، أو تحمَّل سماع كلامهم بسب الله جل وعلا، لكن فقه المآل الذي بني على النظر إلى المصالح والمفاسد والمتغير والثابت، فقد يكون اثابت متغير من حيث قبوله بمرتبة التأخير أو التقديم وذلك بحسب التعارض، فَفُعِّل هذا الفقه في مثل هذه القضية وأنزل الله قوله: {وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾}[الأنعام:108]. وهذا فقه قابلٌ للتجدد للمشابهة في العلة قال أبو حيان الأندلسي -رحمه الله-:"وحكم هذه الآية باق في هذه الأمة فإذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو الرسول أو الله، فلا يحل لمسلم ذم دين الكافر ولا صنمه ولا صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك"[94].

ولا يقال: إن هذا القول مآله ترك الدعوة إلى التوحيد مادام يلزم منه أن يتخذ المشركون أو غيرهم موقفًا كهذا أو قريبًا منه. والجواب: هو أن السب المقصود به هنا الذي يتخذه المشركون سببًا هو ما كان يحصل من بعض المسلمين لشدة الغيرة في سب الآلهة للقوم، فكان المشركون يردون عليهم بالمثل، لا أن الدعوة إلى توحيد الله وإبطال ألوهية غيره بالحجج والبراهين تُتْرَك بناء على هذا القول. ثانيًا: المنهي عنه الإفراط في ذلك بالسب الذي قد لا يكون فيه وحي منزل[95]. ثالثًا: كان بعض المشركون ينكرون أن الله أمر النبي بسب آلهتهم كما يظنون، وإنما هو شيطان، وكانوا يعتقدون أنهم لا يعبدون الأصنام إلا لأنها تقربهم إلى الله زلفى كما قال الله عنهم: {أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾} [الزمر:3]. وهذا قرره أيضًا الآلوسي -رحمه الله- [96]في روح المعاني[97].

- **ومن ذلك:** إبراهيم -عليه السلام- عند أن كسَّر وحطَّم الأصنام، كان مآل ذلك أن وصل قومه في أذيته إلى مرحلة الإحراق، وهذا عسر وأيُّ عسر! كما قال الله: {قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾} [الأنبياء:68]. أو ترك ذلك حفاظًا على نفسه، فهذان ثابتان، النفس والدين كما هو معلوم، لكن أحدهما وهو المحافظة على النفس فتصير بمرتبة المتغير من حيث قبولها للتقديم أو التأخير، وذلك بحسب مرتبتها عند تعارضها مع هذا الثابت كما هو هنا. وهذا

التصرف ظاهره مفسدة، لكن مصلحة الدين مقدمة–في الأصل–على مصلحة النفوس، وخاصة في حق القدوات، والذي يؤيد نظرة–إبراهيم عليه السلام–هو أن الله لم ينكر عليه فعلته، بل كان ذلك من أبرز صالح أعماله، ونجاة الله له من النار، لَدَليلٌ كافٍ على صحة فعله وبُعْدِ نظره ورسوخ قدمه.

وهكذا في موضوع الهجرة للأنبياء عمومًا كنبينا وموسى وإبراهيم ولوط–عليهم السلام جميعًا–؛ فهم قارنوا بين عسر أذية قومهم ومنعهم من الدعوة، وبين الهجرة خارج الوطن وما فيها من آلام الفراق، وأي فراق في الهجرة، فقدموا الأخير مع مرارته وكما قال القائل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها[98].

والصبابة مشتقة لغة من الفعل "صبَّ" الذي هو الانسكاب والانحدار[99]، ليدل اصطلاحًا: على شدة الشوق ورقته الشديدة التي تذيب القلب. ولذلك لشدة عسر الهجرة هو عندما قال ورقة بن نوفل[100] للنبي–صلى الله عليه وسلم–: (ليتني أكون فيها جذعًا إذ يخرجك قومك) فأثار ذلك استغراب واستفهام مشوبًا بالخوف من النبي–صلى الله عليه وسلم–فقال: (أو مخرجي هم؟)[101].

وقال الله: {وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦} [النساء:66]. فلقوَّة أثر الهجرة على النفس، قرنها الله بخروج الروح من البدن كما هو ظاهر.

يقول صاحب البحر المحيط في التفسير:" وفي الآية دليل على صعوبة الخروج من الديار، إذ قرنه الله تعالى بقتل الأنفس"[102]. وقد قيل في ذلك:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول.
كم منزل في الأرض يسكنه الفتى
وحنينه أبدًا لأول منزل[103].

وقال آخر:

بلادٌ ألفناها على رغم ما بها
وقد يُؤلف الشيء الذي ليس بالحسن.
وتستعذب البلدان التي لا هوى بها
ولا ماؤها عذب ولكنَّها وطن!"[104].

وعند أن تحدث الله عن الهجرة ذكر الموت، وهذا شيء عجيب! ما المناسبة؟ قال الله: {يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧} [العنكبوت:57]. قال صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور[105] كلامًا جميلًا نبدأ به ثمَّ أذكر بعض التعليلات الأخرى :"ولما كانت الهجرة شديدة المرارة لأنها مرت في المعنى، من حيث كونها مفارقة المألوف المحبوب من العشير والبلد والمال، وكان في الموت ذلك كله بزيادة، قال مؤكدًا بذلك مذكرًا به مرهبًا من ترك الهجرة : " كل نفس ذائقة الموت "أي مفارقة كل ما ألفت حتى بدنًا طالما لابسته، وآنسها وآنسته، فإن أطاعت ربها أنجت نفسها ولم تنقصها الطاعة في الأجل شيئًا، وإلا أوبقت نفسها ولم تزدها المعصية

في الأجل شيئًا، فإذا قدر الإنسان أنه مات سَهُلَتْ عليه الهجرة، فإنه إن لم يفارق بعض مألوفة بها، فارق كل مألوفة بالموت، وما ذكر الموت في عسير إلا يسره ولا يسير إلا عسره وكدره. ولما هوّن أمر الهجرة، حذر من رضي في دينه بنوع نقص لشيء من الأشياء حثًا على الاستعداد بغاية الجهد في التزود للمعاد فقال: " ثم إلينا" على عظمتنا، لا إلى غيرنا ترجعون، على أيسر وجه، فيجازي كلًا منكم بما عمل"(106).

وثمَّة تعليلات أخرى تستنبط والله أعلى وأعلم منها: أنه –سبحانه –لما ذكر المغادرة من مكان إلى آخر، ذكَّرهم بالمغادرة الكبرى من هذه الدنيا؛ ليسليهم، بأن الجميع سيغادر، الظالم الذي كان متسببًا في هجرة المظلوم وتشرده، والمظلوم سيغادر، والمرجع هو الله الذي سينتقم من الظالمين، فالدنيا ليست آخر المطاف. ومنها: أن الهجرة تربية أكثر منها غربة، لأن المهاجر يترك في الغالب أهله وأولاده وأمواله في سبيل دينه، فهو –الله–يُعلِّمُه بهذا القدر الأزلي التضحية عمليًا. ومنها: أن فيه تهديدًا لمن بقي وهو مقتدرٌ على الهجرة، وكان بقاؤه سببًا في ردته أو ما يضر بدينه، فهدده بالموت وأن مآله الرجوع إلى الله فليحذر. بدليل قول الله متوعدًا بالعقوبة الذين كان عندهم قدرة على الهجرة فلم يفعلوا: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾} [النساء:97].

ومنها: أن الله وعد المهاجر في سبيل الله– وهو الذي لا يخلف وعده–أنه سيعوضه خيرًا مما فقد، وهذا فيه تسلية وجبرٌ لكسره وخاطره، والجبر دليل وجود العسر وهو الانكسار حسي أو معنوي، قال الله: {وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾} [النساء:100].

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على جميع الأنبياء وآلهم وعلى نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وبعد:

فهذه أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها هذا البحث:

أولًا: أهم النتائج:

1) إن مفهوم وسائل العسر في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر هو أن وسائل العسر في تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر يعني ما استخدمه الرسل–صلوات الله وسلامه عليهم–من الطرق ثابتًا ومتغيرًا في تعاملهم مع أقوامهم في مرحلة العسر في القرآن الكريم.

2) العسر هو موقف ما مرَّ به الأنبياء صعبٌ شكَّل حالة نفسية وجسدية من خلال تعاملهم مع أنبيائهم تلك المرحلة.

3) وأن تعامل الأنبياء مع أقوامهم في تلك المرحلة كان يخضع في التغيير بناء على مراعاة الأحوال والأزمان والأشخاص والأماكن.

4) وأن ذلك من باب الصفات والعلل التي تقبل التعدية إلى الغير، والتطبيق للمِثْلِ حالًا وزمانًا وأشخاصًا ومكانًا.

5) وأن تناسب وسائل الدعوة مع العصر معالجة لواقعه، وتلبية لمتطلباته، جامعًا بين متغيرة وثابته سببٌ لسلامة الوصول وتحقق الثمرة.

6) إن الأصالة لا تعني التخلف عن ركب الحضارة المعاصرة بشتى أنواعها، ولا المعاصرة تعني الانفصال عن الأصالة والموروث الديني، ومن توهم غير هذا فهو إمَّا لقلة تقدير في فهمهما، أو لا يريد أن يفهم.

7) إن موجبات التغيير لوسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن العسر فيه بيان أن الشريعة واقعية وليست مثالية، وأن الرسل أتوا بالمعقول وما يقبل التنفيذ، وفيه الصلاح والإصلاح لعموم الإنسان عبر الزمان والمكان.

8) والتغافل عن منهج الأنبياء في هذا الباب وعدم مراعاة ذلك أو التقصير في تفعيل هذا المنهج كفيلٌ بمضاعفة العسر أو بقائه.

ثانيًا: أهم التوصيات والمقترحات:

التوصيات:

تشكيل لجنة علمية أو مجمع بحثي ليدرس أو ليجمع ما تمَّ دراسته عن الأنبياء جميعًا في القرآن الكريم، وتشكيل موقع لتنزيل كل ذلك؛ ليكون سهل الرجوع للباحث، والنظر فيما لم يدرس، ومن ثمَّ نشر ما يمكن نشره كمفرد من تلك البحوث أو الرسائل العلمية في بقية المواقع بحسب المستجد من القضايا؛ لتكون منارًا ومرجعًا في ذلك للجميع.

وأمَّا المقترحات:

1-كتابة دراسة بعنوان: وسائل تعامل الأنبياء في القضايا العقدية مع أقوامهم زمن العسر في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

2- ودراسة بعنوان: وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم في القضايا السياسية في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية.

3- ودراسة بعنوان: وسائل تعامل الأنبياء مع أقوامهم زمن اليسر في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية.

الهوامش:

(1) مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت:241 هـ، (27079)(10/45)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ. مسند فاطمة عمة أبي عبيدة، وأخت حذيفة.

(2) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ت: نحو770هـ، المكتبة العلمية بيروت، (660/2).

(3) ينظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري، ت:711هـ(4837/6) تح: عبدالله علي الكبير– محمد أحمد حسب الله– هاشم محمد الشاذلي، دار المعرفة– القاهرة.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: 774هـ. (273/1)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ – 1999م.

[5] صحيح مسلم، كتاب : الصلاة، باب: استحباب القول مثل ما يقول المؤذن، رقم (348)(288/1) حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ.

[6] المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني (ص:49)، مؤسسة الرسالة – بيروت. ط3، 1415هـ.

[7] أصول الدعوة / عبدالكريم زيدان (ص:447)، ط 3، 1396هـ.

[8] منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله د/ عبدالله الحوشاني (542/2)، مركز الدراسات والإعلام / دار إشبيليا، ط 1، 1417هـ.

[9] وهو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، غير أنه ليس لازم القول قولاً لصاحبه خصوصاً إذا نفاه. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت: 816هـ، .(190/1). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1، 1403هـ.

[10] ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت: 817هـ (86/1) ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. ط2، 1426هـ.

[11] الدعوة إلى الله – خصائصها–ومقوماتها–ومناهجها، نوفل، أبو المجد السيد (ص:189) ط1، 1397هـ.

[12] الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد ساداتي (ص:48)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط2.

[13] لسان العرب، (2938/4).

[14] ينظر: المرجع السابق (89/1)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (10/1)، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات –حامد عبد القادر –محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.

[15] الأصالة والمعاصرة: خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية، ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – مجلة علمية محكمة، العدد الأول، محمد أبو الفتوح البيانوني (ص:86).

[16] ينظر: لسان العرب (2967/4، المعجم الوسيط (610/2).

[17] الأصالة والمعاصرة: خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية (ص:87).

[18] الأصالة المعاصرة في الفكر الإسلامي – أضواء الشريعة، رأفت محمد (1/ 464).

[19] ينظر: البحر المحيط (228/6).

[20] ينظر: لسان العرب (19/2–20)، مختار الصحاح (90/1).

[21] الثابت والمتغير في الإسلام، علي جمعة (ص: 1–2).

[22] الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، د/ صلاح الصاوي (50/1) ط 1، 1430هـ.

[23] ينظر: المتغيرات والثوابت في مسيرة العمل الإسلامي، أ. د. صلاح الصاوي(ص:159–195) ط:1، 1430هـ.

[24] لأن النص يعرف بأنه مالا يحتمل إلا معنى واحداً، وله تعاريف أخرى، ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، روضة الناظر وجنة المناظر، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ت: 620هـ، (27/2)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط:2، 1423هـ.

[25] والعمل بخبر الآحاد في العقائد والأحكام إن ثبت عليه الإجماع كما ينقله ابن عبد البر وغيره. ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت: 463هـ، مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير

البكـري، وزارة عمـوم الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية – المغرب، 1387هـ.

(26) ينظر: المتغيرات والثوابت في مسيرة العمل الإسلامي، أ.د. صلاح الصاوي (ص:17).

(27) ينظر: جريمة الردة وعقوبة المرتد، يوسف بن عبدالله القرضاوي ت: 2022م(ص:30).

(28) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت: 1393هـ (476/1)، دار الفكـر للطباعـة والنشـر والتوزيع بيروت –لبنان، ط1، 1415هـ.

(29) ينظر: إعراب القرآن وبيانـه، محيـي الـدين بـن أحمـد مصـطفى درويـش ت: 1403هـ(126/8)، دار الإرشـاد للشئون الجامعية –حمص–سورية، (دار اليمامة –دمشق –بيروت)، (دار ابن كثير –دمشق –بيروت)، ط4، 1415 هـ.

(30) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت: 745هـ، (324/4) ت: صـدقي محمـد جميـل، دار الفكر – بيروت، ط1420هـ.

(31) ينظر: أضواء البيان (248/2).

(32) وهو تتبع الجزء من أجل الحكم على الكل، والتام هو تتبع الكل، والناقص تتبع البعض ينظر: شرح بحر العلوم، أبو العباس عبد العلي بن نظام الدين اللكهنوي المدراسي الحنفي، على شرح سلم العلوم في علم المنطق، لمحب الدين بن عبد الشكور الحنفي صاحب كتاب مسلم الثبوت ت: 1119هـ ت: 1225هـ، (542/2)، ت: عبد النصير أحمد الشافعي المليباري – ماجستير في العقيدة والفلسفة– جامعـة الأزهـر، دار الضـياء للنشـر والتوزيـع – الكويـت، ط1، 1433هـ.

(33) ينظـر: كنـوز قرآنيـة، د. هشـام عبـد الجـواد الزهيـري (12/1) الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط4، 1430هـ.

(34) ينظر: البحر المحيط في التفسير، 442/3).

(35) صحيح البخاري، في تراجمه باب: قول الله: { فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾} [سورة محمد:19]. (50/1).

(36) ينظـر: التفسـير القرآنـي للقـرآن، عبـد الكـريم يـونس الخطيب ت: 1390هـ (1050/12)، دار الفكر العربي – القاهرة.

(37) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت: 505هـ (155/4) دار المعرفة بيروت.

(38) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت: 751هـ(3/27–28)، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت – مكتبـة المنار الإسلامية، الكويت، ط:27، 1415هـ.

(39) هو مصطلح يشير إلى مجموعة الأفكار والمعتقدات والعادات المشتركة التي تسود مجتمعاً معيناً، وتؤثر في سلوك أفراده، بحيث يصبح الأفراد تحت تأثير الجماعة، يفكرون ويتصرفون بشكل مشترك، كما لو كان هناك عقل واخد يقودهم. ينظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركـايم (ص:45–50) دار المعرفـة للطباعـة والنشـر. ط2.

(40) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجـوه التأويـل (598/3)، زاد المسـير فـي علـم التفسـير، جمـال الـدين أبـو الفرج عبـد الـرحمن بـن علـي بـن محمـد الجـوزي ت: 597هـ (503/3) ت: عبـدالرزاق المهـدي، دار الكتاب العربي – بيروت. ط1، 1422هـ.

(41) وهو اعتقاد الشخص بصحة معلوماته غير أنها غير موافقـة للواقـع، فهـو يجهـل الحقيقـة ويجهـل أنـه يجهلهـا. ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني (80/1).

(42) ينظر: البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبـة الحسـني الإدريسـي الشـاذلي الفاسـي أبـو العبـاس، (454/1)، دار الكتب العلمية – بيروت. ط2، 1423هـ.

(43) ينظـر: نحـو التربيـة الإسـلامية الحـرة فـي الحكومـات الإسـلامية، السـيد أبـو الحسـن علـي بـن الحسـني النـدوي

(ص:8) دار الإرشـــاد للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع، ط1388/1هـ.

(44) ينظـر: طبـائع الاسـتبداد ومصـارع الاسـتعباد، عبـد الرحمن الكواكبي الحلبي ت: 1320هـ. (ص:20) الجيل الجديد ناشرون – صنعاء. ط3، 1433هـ.

(45) ينظر: الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقـي الـدين السـبكي ت: 771هـ، (127/1)، دار الكتـب العلمية، ط1، 1411هـ.

(46) ينظر: أضواء البيان (464/1)، الأساس في التفسير، سـعيد حـوّى ت: 1409 هـ، دار السـلام – القـاهرة ط6، 1424هـ، التفسير الوسيط، الطنطاوي (228/14).

(47) مثلاً قتل المرتد هل قتل النبي له كان باعتباره إماماً أم باعتباره مبلغاً، فلو قيل: باعتباره إماماً معناه أنه يسوغ فيه الاجتهـاد لمـن بعـده مـن الأئمـة لـو حصـلت تلـك الحالـة الحرجـة، وتكـون محـل اجتهـاد، وينظـر مـا فعلـه الرسـول وأحوال ملابسات القضية المعاصرة بالقديمة ويسير عليها ويقتدى بها؛ كون البنـي أكمل النـاس في اختيار فعل ما وهكـذا. ينظـر: جريمـة الـردة وعقوبـة المرتـد، يوسـف بـن عبدالله القرضاوي ت: 2022م (ص:30).

(48) صـحيح البخـاري، كتـاب: أحاديث الأنبيـاء بـاب قـول الله: واذكر في الكتاب مريم. رقم: 3447 (167/4) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(49) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية وهو يتكلم عن المتفق عليـه فـي ملتنـا كالكتـاب والسـنة والإجمـاع وأنـه كالمشـترك بين الأديان، وأن ما اختلف فيه فهو بمنزلة ما اختلفت فيه شرائع الأنبياء (117/19-118).

(50) ينظر: تفسير ابن كثير (291/3).

(51) وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وقصتهم في صحيح البخاري، كتاب المغازي باب: حديث كعب بـن مالـك رقم:4418(3/6) حديث كعب بـن مالـك رضي الله عنه.

(52) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (21/5).

(53) صحيح مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضـل صـلاة الجماعـة والتشـديد فـي التخلـف عنهـا، رقم:651(451/1) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(54) أخرج البخاري في "الصحيح" كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية: (3518) (546/6). عن جابر رضي الله عنه.

(55) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت: 279هـ (155/4)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4 –5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط:2، 1395 هـ - 1975 م. والحديث صحيح كما قال المحقق.

(56) ينظر: مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمـان الله بـن حسـام الـدين الرحمـاني المبـاركفوري ت: 1414هـ،(462/9). إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط:3، 1404هـ.

(57) أذن في الجهاد في الثانية للهجرة، وغايته لأجل حرية الاختيـار لا الإكـراه عليـه، ورفـع الظلـم، ونصـرة المستضعفين. ينظر: تفسير ابن كثير(568/1).

(58) التحرير والتنوير (38/13).

(59) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت: 310هـ) (186/16) ت: أحمـد محمـد شـاكر، مؤسسـة الرسالة، ط1، 1420هـ.

(60) التفسير القرآني للقرآن (27/7).

(61) صـحيح البخـاري، كتـاب: التفسـير بـاب: "لـولا إذ سـمعتموه ظـن المؤمنـون والمؤمنـات بأنفسـهم خيـرا" رقـم: 4750(101/6) حديث عائشة رضي الله عنها.

(62) قطـب السـرور فـي أصـناف الأنبـذة والخمـور، أبـو إسـحاق إبـراهيم بـن القاسـم الرقيـق القيروانـي، ت: 425هـ

(27/1) ت: د/ سارة البربوشي بن يحيى. منشورات الجمل – بغداد – بيروت، ط 1، 2010م.

(63)

(64) ينظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور، ت: 227هـ (1576/4)، تح: سعد بن عبدالله آل حميد. دار الصميعي – الرياض، ط1، 1993م، المستدرك على الصحيحين، مقبل الوادعي، كتاب: الأشربة، باب: ما جاء في تحريم الخمر برقم (17786)(285/8)، حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(65) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: 774هـ. (273/1)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ –1999م.

(66) المصادرة هي: وضع القضية التي تريد البرهنة عليها في إحدى مقدمات الاستدلال، بشكل صريح أو ضمني، فيجعل النتيجة مقدمة والمشكلة حلاً، وجعل الدعوى دليلاً، كما فعل القوم هنا، فإبراهيم – عليه السلام – طلب منهم إثبات السمع أو البصر أو النفع أو الضر لهذه الآلهة، فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين! لأنهم إما أن يقولوا إن فيها تلك الصفات أو لا، فهربوا وتصادروا واستدلوا على صحة عبادتها أنهم مقلدون لآبائهم، فجعلوا المشكلة – تقليد الآباء– حلاً ومخرجاً لورطتهم. ينظر: مختصر المغالطات المنطقية، عادل مصطفى (ص:19) اختصره : د/ مرضي بن مشوح العنزي، شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2. 1443هـ.

(67) هو مصطلح يتعلق بتحديد طبيعة الشيء أو جوهرة أي: تحديد ما هو هذا الشيء ويميزه عن غيره. ينظر: المنطق، محي الدين عبدالله (ص:30) دار المعرفة.

(68) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (176/1).

(69) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (189/1)، أضواء البيان (9/1).

(70) هو: عمرو ابن عمير بن سلمة اللخمي، أحد أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأشتهر بموقفه يوم الفتح بمراسلة قريش، وقد عفا عنه بعد أن أوضح حاطب دوافعه، توفي سنة: 30 هـ، في خلافة عثمان رضي الله عنه. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (305/1) دار الكتب العلمية – بيروت، 1995م.

(71) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وهو فقيه أصولي ومفسر ومحدث. ولد في دمشق سنة: 661هـ وتوفي: 728هـ، ولو مؤلفات عدة منها: الفتاوى، ومنهاج السنة، ودرء تعارض العقل والنقل وغير ذلك. ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ت: 1396هـ، (144/1)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

(72) هو: سعد بن عبادة بن ديلم الأنصاري الخزرجي، الملقب ب: أبو ثابت، وكان زعيماً للخزرج وأحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في بيعة العقبة، حامل لواء الأنصار في الغزوات، توفي بالشام سنة:14هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي (278/1) مؤسسة الرسالة – بيروت. ط3، 1985م.

(73) هو: عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن سالم الخزرجي، كان زعيماً للخزرج في المدينة قبل الإسلام، وكان يلقب بابن سلول، نسبة إلى جدته، عرف بنفاقه ومعارضته لرسول وأصحابه، وكانت مواقفه غالباً تشكل عسرا لدى النبي وأصحابه، ومن أبرزها انسحابه يوم أحد وحادثة الإفك، توفي: 9 للهجرة. ينظر: المرجع السابق (322/1).

(74) هي الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – ولدت بمكة قبل الهجرة، وعقد عليها النبي في مكة ودخل بها في المدينة،

اشتهرت بعلمها وورعها وفضلها، وتوفيت: 58هـ، ودفنت بالبقيع. ينظر: المرجع السابق (135/2).

(75) الإيمان الأوسط، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت: 728هـ(70/1)، تح: محمود أبو سن، دار طيبة للنشر – الرياض، ط2، 1422هـ.

(76) ويُعنى به: وضع كل شيء في مرتبته، فلا يقدم ما حقه التأخير ولا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير. وقيل: "هو العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها". فقه الأولويات، الوكيلي (ص:16).

(77) أسباب نزول القرآن، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي ت: 468هـ،(282/1)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح – الدمام، ط 2، 1412هـ.

(78) وهو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ولد سنة: 1296هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، وفروعه بتونس، وله مصنفات عدة منها: التحرير والتنوير في التفسير، وفي الأصول، مقاصد الشريعة الإسلامية، وغيرهما توفي سنة 1393هـ. ينظر: الأعلام (174/6).

(79) التحرير والتنوير (292/16).

(80) ينظر: هذا كتاب للمؤلف، الشركة التونسية للتوزيع، ط3.

(81) ينظر: الإبهَاجُ فِي شَرح المِنْهَاجِ، شرح عَلَى مِنْهَاجِ الوُصُولِ إلى عِلمِ الأُصُولِ لِلقاضِي، البَيْضَاوِيّ المُتَوَفى سنة 685 هـ، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى 756 هـ، وولده تاج الدّين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى 771 هـ (1066/4). دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزَمزَمي–الدكتور نُورُ الدين عَبد الجَبَار صَغِيري، دَار البحُوث للدِّرَاسَات الإسْلَامِيّة وإحياء التّراث. أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(82) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، 1376هـ، (512/1) تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ.

(83) أخرج البخاري في "الصحيح" كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية: (3518)(546/6). عن جابر رضي الله عنه.

(84) الموافقات، الشاطبي (43/1) ت: أبو عبيدة مشهو بن حسن آل سليمان، دار بن عفان، ط1، 1417هـ.

(85) ينظر: اعتبار المآلات ومراعاة التصرفات، دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة، عبد الرحمن بن معمر السنوسي (ص:19–21) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ. وكتاب: قاعدة اعتبار المآلات والآثار المترتبة عليها في الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، دراسة أصولية فقهية معاصرة، د/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز (ص:11–12) بدون سنة الطبع.

(86) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: 241هـ، برقم: (2803)(18/5) تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد آخرون، إشراف : عبدالله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ. والحديث صحيح كما ذكر المحقق.

(87) ينظر: التحرير والتنوير (115/11).

(88) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت: 671 هـ (88/13)، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب– الرياض– المملكة العربية السعودية. 1423هـ.

(89) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت: 728هـ، (54/20) تح: عبد

الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ.

(90) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد رقم: (1901)(1510/3) حديث أنس رضي الله عنهما.

(91) المرجع السابق، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد رقم:(1789)(1413/3) حديث أنس رضي الله عنه.

(92) صحيح البخاري، كتاب: الرقائق، باب: العمل الذي يبتغى به وجه الله رقم:(6487)(2174/4) حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(93) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (385/1).

(94) البحر المحيط في التفسير (610/4).

(95) ينظر: التحرير والتنوير (428/7).

(96) وهو: محمود شكري بن عبدالله بن محمد الألوسي ولد: 1857هـ، وهو عالم مفسر وأديب ومحدث وفقيه ومصلح، وهو عراقي، وله مؤلفات، منها: مسك الأرام في طيب الكلام، فتح المنان في شرح مسند أحمد بن حنبل، توفي:1342هـ. ينظر: الأعلام، للمؤرخ خير الدين الزركلي (168/7).

(97) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت: 1270هـ، (237/4) ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ.

(98) قيل البيت: لعلي رضي الله عنه، وقيل: للشاعر العباسي محمد بن بختيار البغدادي. ينظر: نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرحيم بن درهم ت: 1362هـ، (ص:184) دار العباد – بيروت 1960م.

(99) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (3247/4).

(100) وهو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي – رضي الله عنه – ابن عم خديجة رضي الله عنها، وكان قد تنصر، وعنده علم من الكتب السماوية السابقة، توفي في السنة الرابعة من البعثة. ينظر: البداية والنهاية (5/3) دار الفكر، ط1، 1986م. والأعلام للزركلي (115/8).

(101) المرجع السابق كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدأ الوحي رقم:(3)(2/1) حديث عائشة رضي الله عنها.

(102) البحر المحيط في التفسير (695/3) واسم صاحب الكتاب: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الأندلسي، ولد : 654، و ت: 745هـ، كان إماماً مفسراً لغوياً نحوياً، وينظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (14/ 302)، ت: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة – القاهرة ط 1، 1385هـ.

(103) ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي ت: 788هـ،(1/ 745)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط4، 2009م.

(104) وقد بحثت على هاتين البيتين فوجدتهما في كتاب المستطرف في كل فن مستطرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ)(292/1) وقد نسبها للجاحظ، فعدت للدواوين الشعرية فلم أجدها، وبحثت عنها في رسائل الجاحظ فلم أجدها، وقد ذكرها صاحب كتاب صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية (308/1) دون أن ينسبها لقائلٍ.

(105) وهو: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ولد 809هـ، مفسراً ومؤرخ ومحدث، وأصله من سوريا ورحل إلى مصر، توفي: 885هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، (299/7)، دار الأفاق الجديدة – بيروت، 1986م.

(106) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (571/5)، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبهَاجُ فِي شَرح المِنْهَاجِ، شرح عَلَى مِنْهَاجِ الوُصُولِ إلى عِلمِ الأُصُولِ لِلقاضِي، البَيْضَاوِيّ المُتَوَفى سنة 685 هـ، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى 756هـ، وولده تاج الدّين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى 771هـ، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزَمزَمي–الدكتور نُورُ الدين عَبد الجَبَار صَغِيري، دَار البحُوث للدِّرَاسَات الإسْلَامِيّة وإحياء التّراث. أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
2. الإبهاج في شرح المنهاج، منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي ت: 685هـ شرح: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي ت:756هـ وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، ت: 771هـ، دار الكتب العلمية–بيروت. 1416هـ.
3. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت: 505هـ، دار المعرفة بيروت.
4. أسباب نزول القرآن، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي ت: 468هـ، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح–الدمام، ط 2، 1412هـ.
5. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت: 771هـ، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ.
6. الأصالة والمعاصرة: خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية، ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– مجلة علمية محكمة، العدد الأول، محمد أبو الفتوح البيانوني.
7. أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ت: 2014م ط 3، 1396هـ.
8. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت: 1393هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، ط1، 1415هـ.
9. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت: 1393هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، ط1، 1415هـ.
10. اعتبار المآلات ومراعاة التصرفات، دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة، عبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ.
11. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ت: 1403هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية–حمص–سورية، (دار

اليمامة-دمشق-بيروت)، (دار ابن كثير-دمشق-بيروت)، ط4، 1415 هـ.

12. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ت: 1396هـ، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

13. الإيمان الأوسط، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت: 728هـ، تح: محمود أبو سن، دار طيبة للنشر-الرياض، ط2، 1422هـ.

14. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت: 745هـ، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، ط1، 1420هـ.

15. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية-بيروت. ط2، 1423هـ.

16. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت: 816هـ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط1، 1403هـ.

17. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: 774هـ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

18. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: 774هـ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

19. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ت: 1390هـ، دار الفكر العربي-القاهرة.

20. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا ت: 1354هـ، دار الهيئة العامة المصرية للكتب، 1990م.

21. التفسير من سنن سعيد بن منصور، ت: 227هـ، تح: سعد بن عبدالله آل حميد. دار الصميعي-الرياض، ط1، 1993م.

22. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، 1376هـ، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ.

23. الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، د/ صلاح الصاوي، ط1، 1430هـ.

24. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت: 310هـ تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

25.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت: 671 هـ، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب–الرياض–المملكة العربية السعودية. 1423هـ.

26.الدعوة إلى الله–خصائصها–ومقوماتها–ومناهجها، نوفل، أبو المجد السيد، ط1، 1397هـ.

27.ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي ت: 788هـ، دار الكتب العلمية–بيروت، ط4، 2009م.

28.الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد ساداتي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط2، د ت.

29.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت: 1270هـ، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1415هـ.

30.زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت: 597هـ، تح: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي–بيروت. ط1، 1422هـ.

31.شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الأفاق الجديدة–بيروت، 1986م.

32.شرح بحر العلوم، أبو العباس عبد العلي بن نظام الدين اللكهنوي المدراسي الحنفي، على شرح سلم العلوم في علم المنطق، لمحب الدين بن عبد الشكور الحنفي صاحب كتاب مسلم الثبوت ت: 1119هـ ت: 1225هـ، تح: عبد النصير أحمد الشافعي المليباري–ماجستير في العقيدة والفلسفة–جامعة الأزهر، دار الضياء للنشر والتوزيع–الكويت، ط1، 1433هـ.

33.طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي الحلبي ت: 1320هـ، الجيل الجديد ناشرون–صنعاء. ط3، 1433هـ.

34.قاعدة اعتبار المآلات والآثار المترتبة عليها في الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، دراسة أصولية فقهية معاصرة، د/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز، بدون سنة الطبع.

35.القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت: 817هـ (86/1) تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان. ط2، 1426هـ.

36.قطب السرور في أصناف الأنبذة والخمور، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، ت: 425هـ، تح: د/ سارة البربوشي بن يحيى. منشورات الجمل–بغداد–بيروت، ط1، 2010م.

37.قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، دار المعرفة للطباعة والنشر. ط2، د ت.
38.كنوز قرآنية، د. هشام عبد الجواد الزهيري، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط4، 1430هـ.
39.لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري، ت:711هـ، تح: عبدالله علي الكبير–محمد أحمد حسب الله–هاشم محمد الشاذلي، دار المعرفة–القاهرة.
40.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت: 728هـ، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ.
41.مختصر المغالطات المنطقية، عادل مصطفى، اختصره : د/ مرضي بن مشوح العنزي، شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2. 1443هـ.
42.المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، مؤسسة الرسالة–بيروت. ط3، 1415هـ.
43.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: 241هـ، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد آخرون، إشراف: عبدالله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
44.مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت:241هـ، تح: شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
45.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ت: نحو770هـ، المكتبة العلمية بيروت، د ت.
46.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى–أحمد الزيات–حامد عبد القادر–محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
47.منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله د/ عبدالله الحوشاني، مركز الدراسات والإعلام / دار إشبيليا، ط1، 1417هـ.
48.نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات الإسلامية، السيد أبو الحسن علي بن الحسني الندوي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1388هـ.
49.نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرحيم بن درهم ت: 1362هـ، دار العباد–بيروت 1960م.
50.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية–بيروت، 1415هـ.